الفصل السادس

التربيـــة الفارسيـــة

مقدمـــة :

على عكس ما نرى فى حضارتى وادى النيل والرافدين من حيث توافر مـادة مدونـة تنبؤنا بكثير مما يصور وقائع وأحداث الحضارتين ، فإننـا نـرى شحا كبيرا فـى بعض الفترات بالنسبة للحضارة الفارسية ، على الرغم مما تشير إلينـا بـه بعض الآثـار من وجود مراكز حضارية متطورة إلى حد كبير ، وهذا بحد ذاتـه مـن شـأنه أن يقف حجر عثرة أمام جهود التأريخ لهذه الحضارة .

لكن الطريق لم يكـن مسدودا تمامـا ، فقد قضت مسيرة الأحداث أن ترتبط بعض فترات التاريخ الفارسى بتاريخ بعض المراكز الحضارية المجاورة ، مثل بلادا الرافديـن واليونان ، وقد عنيت كتابات يونانية قديمة بذكر كثير عـن الشئون الفارسية بحكم مـا قام من حروب بين الفرس واليونـان ، وكذلك قـامت هنـاك علاقـات بيـن بـلاد الفـرس وبلدان أخرى فى مقدمتها بلاد الرومان التى واصلت الحرب معها بين حين وآخر .

ومع ذلك فإن هناك عددا من المؤرخين يتلقى مضمون هذه المدونات الخارجية عن الشأن الفارسى بقدر من التحفظ ، ويشيرون إلى ملاحظات ، نذكر منها (١) :

- بحكم نشأة العلاقة بين الفرس وغيرهم ممن أرخوا لهم ، فإننـا لا نجد شيئا فيمـا يتصل بتاريخ الفرس القديم ، وإنما نجد المعلومـات تبدأ فـى التوافر منذ عهد الدولـة الأخمينية ، ومن العسير تعويض هذه الثغرة الضخمة بالاستعانة بالمصادر المادية .

- أن الكم الأكبر من هذه المصـادر كتبهـا يونـانيون ورومـان وسريان مسيحيون أو أرمن وعرب مسلمون ، فإذا تنبهنا إلى أن العلاقات بين الفـرس وكـل هؤلاء كـانت فـى معظم الأحوال تتسم بالتوتر والعداء ، كان من الطبيعى أن نتوقـع شـهادات تفتقد العدل عالى المستوى . كذلك فهؤلاء بحكم أنهم أغراب تفوتهم تفاصيل وتفسـيرات لا تمكنهـم من أن يصلوا إلى أحكام دقيقة علمية ، مما يجعل من هذه الشـهادات مشوبة . وليست على درجة كبيرة من الثقة (٢) .

– ثم إن هذه المدونات كانت تسلط اهتمامها فيما يهم أصحابها بالدرجة الأولى ، ومن هنا رأينا اهتماما بالتأريخ للحكام والقادة العسكريين ، وأخبار الحروب والتقلبات السياسية ، بل وصل الأمر إلى الاهتمام بمجالس هؤلاء القادة والحكام وما يجرى فيها ، لكن بقية الشرائح الاجتماعية ، فهناك تعتيم كبير عليها ، وأوضاع مظاهر التحضر المختلفة ، خارج دائرة الضوء ، وخاصة فيما يتعلق بحركة الثروة والعلاقات الاجتماعية وحركة الطبقات .

وإيران هى أقدم تسمية لبلاد الفرس ، وقد اشتق اسم إيران من المصطلح الجغرافى والسياسى : ارينام خشاثرام امبراطور الآريين الذى اشتق منه اسم المجموعة السكانية إيرانى . ولا تذكر الكتابات الفارسية القديمة هذا الاسم ، ولكن اللقب الإدارى إيران شهر الذى شاع استخدامه لاحقا يذكرنا بالشكل القديم للفظة ، كما أن كتابات الافستا تشير بدورها إلى لفظة Khshathram والتى تعنى امبراطور (٣) .

أما عن أول استخدام مصطلح Arania بمدلوله السياسى فقد جاءنا عن الجغرافى إيراتوستينس خازن مكتبة الإسكندرية ، بحدود منتصف القرن الثالث ق.م.وأقدم الإشارات إلى الأقوام الإيرانية تلك التى زودتنا بها الكتابات الأشورية ، فمنذ عهد الملك شليمنصر الثالث (منتصف القرن التاسع ق.م) يرد من بين القبائل الإيرانية التى حاربها شليمنصر الثالث فى المنطقة المحصورة ما بين بحيرة اورميا (رضائية) وبين السهول العالية لهمدان ، ذكر Amadai-Mada ، وتحدد النصوص الأشورية مناطقهم شرق مياه البحيرة ، وهم الميديون ، ويرد أيضا ذكر Parsuash-parsa ، وكانوا يتمركزون غرب بحيرة أورميا ، وهم الفرس (٤)

الأصول الطبيعيـــة :

يشير إلينا تأمل الخريطة الخاصة بإيران إلى ثلاث نقاط (٥) وهى :

– أنها هضبة تتوسط بين منطقة الأحراش (الاستبس) فى أواسط آسيا وبين سهول غربى آسيا .

– أنها أشبه بمثلث رأسه عند جبال زاجروس ويربط منطقة الأحراش أواسط آسيا من ناحية ، وهضبة آسيا الصغرى من ناحية أخرى .

- أن هذه الهضبة تقع بين منخفضين أحدهما فى الشمال وهو بحر قزوين ، والثانى فى الجنوب وهو الخليج (العربى) الفارسى ٠

وقد جعل موقع إيران الجغرافى منها معبرا للمواصلات البرية بين منطقة الشرق الأقصى فى آسيا ، ومناطق البحر الأبيض المتوسط وأوربا ٠ وقد حمت كهوفها قبل فجر التاريخ المدون الصيادين الذين كانوا من أقدم من اتساحوا جنوبا نحو السهول الواطئة ليستقروا فى القرى ، وليزرعوا الحبوب ، وليربوا الحيوانات الأليفة ، كما أنها تعترض خطوط هجرات قبائل وسط آسيا مما أدى إلى استقرار كثير من القبائل فيها(٦)

وهضبة إيران جبلية تتخللها جبال يصل ارتفاعها فى بعض الحالات إلى ١٧٠٠ مترا عن سطح البحر ، وتوجد وديان خصبة بين تلك الجبال يتراوح طولها بين ٥٠ و ٧٠ كيلومترا وعرضها بين ١٢ و ٢٠ كيلومترا ، وتتوسطها المدن الهامة ٠ وتحت مستوى تلك الوديان تنبت على جوانب الجبال غابات كثيفة من أشجار البلوط والجوز واللوز والفستق ، وفى الوديان التى أقل منها ارتفاعا تنبت الفواكه الكثيرة وبخاصة العنب والتين والرمان ، كما يمكن زراعة بعض الحبوب مثل القمح والشعير والدخان وغير ذلك من الحاصلات ٠ وأكثر جبال إيران ارتفاعا هى قمة جبال دماوند على مقربة من الشاطىء الجنوبى لبحر قزوين (٧)٠

وقد جعل مناخها الجبلى الصحى سكان الجبال من أبنائها قوما شديدى المراس يحبون الحرية ، وساعدتهم طبيعة بلادهم على الوقوف فى وجه المعتدين فى جميع العصور ٠ وإذا كانت الهضبة الإيرانية فقيرة نسبيا فى الأنهار الكبيرة ، ففيها كثير من جداول المياه والبحيرات وينابيع المياه مما يسهل الإقامة فيها ، كما سمحت طبيعة أراضيها بوجود المراعى الكثيرة ، وفى جبالها معادن وفيرة وأحجار جيدة متعددة الأنواع (٨)٠

ومعلوماتنا قليلة عن سكان إيران الأولين - عصر ما قبل التاريخ - وقد سموا حينذاك بالقزوينيين أو القوقازيين ، ومميزاتهم الجسمية والجنسية ليست واضحة تماما رغم أن بين أيدينا مادة دقيقة تتمثل فى شواهد قائمة ، هى النقوش البارزة المنحوتة

فى الصخر فى كورانجون فى جنوب غربى إيران ، والتى يرجع تاريخها إلى حوالى ٢٥٠٠ ق٠م ، وهى تشتمل على نحوت واضحة لوجوه أربعين شخصا تقريبا من هؤلاء السكان (٩) ٠

ويظن أن القزوينيين اكتشفوا الزراعة قبل عام ٥٠٠٠ ق٠م وأنهم بدأوا يزرعون الأرض التى سميت إيران فيما بعد٠وقد أنتجت الزراعة طعاما أمكن الاعتماد عليه أكثر فى التموين وتيسير العيش ، ولابد أن السكان قد زادوا تبعا لذلك وأنهم انساحوا فى الأرض وانتشروا فى مناطق فسيحة منها ٠

وقرب نهاية العصر الحجرى الحديث - عصر الآلات الحجرية المصقولة - تناثرت القرى الكبيرة فوق السهول المنبسطة وكانت مستعمرة سكنية مملوءة ببيوت مزدحمة متقاربة ، ولم يكن هناك نظام منسق للشوارع والطرق ٠ ومن المرجح أن الأسلحة والأدوات البرونزية والأدوات الأخرى قد صنعت بكميات كبيرة بعد عام ٣٠٠٠ ق٠م نظرا لكمية البرونز التى استخرجت من الاكتشافات الأثرية (١٠) ٠

ويختلف المؤرخون فى الأقاليم التى سكنها الآريون ، الذين يمثلون الأصول الجنسية القديمة للإيرانيين ، ويغلب على الظن أنهم كانوا يقيمون فى القوقاز ، وشمالى سيبريا ، وشمالى أوربا ووسطها ، وشمالى روسيا وشرقها وشمالى الهند ، وفى المنطقة التى تقع بين بحيرة أورال ونهر جيحون ، ثم هاجرت الطوائف الآرية بعد أن كثر عدد أفرادها ، فقد أجبرتها الظروف الاقتصادية على ذلك ٠ ويبدو أن هذه المعجرة كانت قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة ، وقد توجهت كل طائفة إلى ناحية ، واختارت الإقامة فيها ، فأقبلت طائفة من هذه القبائل الآرية من أواسط آسيا واحتلت الهضبة الإيرانية وسكنتها(١١)٠

وليس من السهل تحديد الزمن الذى قدم الآريون فيه إلى إيران ، وإن كان من المرجح أنهم دخلوها منذ أكثر من ألف عام قبل الميلاد ، ثم أخذت كل قبيلة منهم إلى ناحية من إيران وتنزل فيها ، وصارت الوديان تسمى بأسماء القبائل التى نزلتها وكانت أهمها ثلاث قبائل هى : ميديا ، فارس ، وبارز ٠ وقد نزل الميديون فى الأجزاء الغربية

للهضبة الإيرانية ، وفى كردستان والعراق العجمى ، بينما نزل الفرس فى الولايات الجنوبية الغربية التى أصبحت تعرف باسمهم ، ونزل البارزيون فى شرق إيران (١٢).

وبالإضافة إلى هذه القبائل الثلاث ، نزلت قبائل أخرى فى أنحاء مختلفة من إيران مثل الجرجانيين فى جرجان ، كما استمرت قبائل أخرى فى سيرها حتى جاوزت حدود إيران ونزلت فى الأنحاء الواقعة خلف نهر " أرس " مثل قبيلة " أران " التى نزلت فى القوقاز ، وتعد هذه القبائل - أيضا من مجموعة القبائل الآرية الإيرانية ، ولو أنها سكنت خارج حدود إيران .

التطور الاجتماعى والسياسى :

من المواقع الحضارية الإيرانية التى يرى البعض أنها موغلة فى القدم ، ما تكشف عنه حفائر " سيالك تبه " ، وهى فى الشمال الغربى من إيران ، على مقربة من مدينة قاشان فى الجنوب الشرقى من طهران ، حفرها جيرشمان وكتب عنها مؤلفا من جزئين ، وكان سكانها فى العصور القديمة يعيشون على حافة بحيرة كبيرة ، وكان هناك نهير يجرى إليها بالماء ، كما ساعدت خصوبة أرض تلك الواحة على زرع جزء كبير منها للحصول على الحبوب اللازمة للخبز ، وأحاطت الشجار بالبحيرة وكونت غابة كانت مرتعا لكثير من الطيور والحيوانات التى كانوا يصطادونها للانتفاع بها فى غذائهم(١٣)

وربما يرجع أقدم تاريخ للمنطقة إلى حوالى ٥٠٠٠ق.م ، عندما كان السكان القدماء يستعملون فخارا أحمر مصقولا خاليا من النقوش ، ولكن فى عصر سيالك الأول نجد أن السكان صنعوا أنواعا مختلفة من الفخار وزخرفوه ، كما عرفوا أيضا نسج القماش ، وكانوا يصنعون لأنفسهم مساكن خفيفة من فروع الأشجار يطلونها بالطين .

ولا شك أن وصول سكان " سيالك " إلى معرفة صناعة الغزل ووصولهم إلى صناعة الفخار يشهد لهم بالتفوق ، ولكن تفوقهم الحقيقى كان فى الذوق الفنى فى زخرفة هذا الفخار بالألوان وتنويع أشكاله . وقد عثر جيرشمان أيضا فى هذه الطبقة على بعض

الأدوات التى كان يستعملها أمثال هؤلاء السكان الذين كانوا ، إلى جانب الزراعة ، ما زالوا يعتمدون أيضا على الصيد (١٤) .

أما بالنسبة لبلاد " عيلام " (نيم بالسومرية ، ومعناها الأرض المرتفعة ، شوشيانا ، بلاد الشوش) السهول الجنوبية والجنوبية الشرقية من إيران (منطقة عربستان أو خوزستان) ، وهى امتداد لسهول العراق الطموية وتعتبر معه وحدة طبيعية وحضارية . ويصعب معرفة أصل العيلاميين والمنطقة التى قدموا منها ، ويمكن تعقب أثر اللغة العيلامية إلى بداية الألف الثالث ق.م عندما كانت تدون بالرموز الصورية (١٥) .

وقد لعب الدين دورا كبيرا فى حياة العيلاميين ، وتميز دينهم بتقديس العنصر الأنثوى والحيات (الذى له ، ربما ، علاقة باعتقادهم بمختلف المخلوقات الغريبة والعفاريت) والتأكيد على السحر والشعوذة (١٦). ولنا أن نعرف بأن الفن العيلامى مثله مثل كثير من أوجه الحضارة العيلامية ، لم يكن أصيلا ، بل اعتمد على الحضارة العراقية القديمة القريبة منه .

وفى المجال الاقتصادى مارس العيلاميون الصيد ، ومن الحيوانات التى اصطادوها ، الوعول والخنازير الوحشية والغزلان الحمر إلخ . كما اصطادوا الأسماك والسلاحف ومارسوا الزعى فساقوا الماشية والماعز إلى المراعى وحفظوها فى زرائب واستفادوا من منتوجاتها ، كما زرعوا مختلف المحاصيل الزراعية والفواكه واستعملوا المناجل والمعازق ذات الثلاث شعب وحفظوا حبوبهم فى مخازن شيدوها من الطين . وعرفوا الكثير من الصناعات كالتجارة وعمل الفخار .. إلخ ، ومارسوا مهنا مختلفة ، وهناك ما يدل على مشاركة المرأة للرجل فى الكثير من الصناعات أمثال الحياكة وصنع الفخار والخبز (١٧).

ومن أهم الدول التى أسسها الآريون القدماء الدولة التى اقامها الميديون فى القرن السابع قبل الميلاد . والحديث عن هذه الدولة ليس محققا كل التحقيق لأنها لم تترك لنا من الآثار ما يساعد على دراستها دراسة دقيقة ومعرفة أحوالها وأخبارها . والمرجح

أن الميديين أقوام من الجنس الآرى ، وقد هاجروا من شواطىء بحر قزوين إلى غربى آسيا قبل الميلاد أكثر من ألف عام تقريبا ، ثم استقروا فى إيران بعد ذلك (١٨).

وقد كانت دولة الميديين قصيرة الأجل ، فلم تساهم بنصيب وافر فى الحضارة ، غير أنها مهدت السبيل إلى الحضارة الفارسية ، وقد امتاز الميديون فى أول أمرهم بالبساطة والقوة والنشاط ، وكانوا يحيون حياة طبيعية اقتصادية ، وقد ورث الفرس كثيرا من عاداتهم وتقاليدهم ، كما ورثوا عنهم لغتهم الآرية ، وحروفهم الهجائية ، وطريقة كتابتهم بالأقلام على الجلود والرقائق ، وتعلموا منهم الإكثار من استعمال الأعمدة فى العمارة ، وأخذوا عنهم قوانينهم الأخلاقية التى تدعوا إلى الاقتصاد وحسن التدبير ، والاعتماد على الزراعة فى أثناء السلم ، والشجاعة فى أثناء الحرب ، كما ورثوا عنهم دين زرادشت ، واستعملوا تقاليدهم فى الأسرة ، وهى تدعوا إلى الخضوع لرب الأسرة ، وتبيح تعدد الزوجات .. إلى غير ذلك من قوانين (١٩).

واستقرت طائفة أخرى كانت وثيقة الصلة بالميديين فى إقليم فارس ، وانتشر أفرادها فى سهول عيلام باعتبارهم حكاما من قبل الميديين ، وأصبح رؤساء هذه الطائفة التى تعرف باسم الأخمينيين السادة المسيطرين على هذا الإقليم الذى كان يعرف باسم " أنشان " أو فارس . وفى عام ٥٥٣ ق.م ثار " قورش " نائب الملك فى بارس أو برسيس ، وأسقط الحاكم الميدى أستياجس Astyages ، ثم أعقب ذلك اتحاد وثيق بين الميديين والفرس ، وسرعان ما استخدم جيشا مكونا من هذه الجماعات القبلية الناهضة فى سلسلة من الغزوات الناجحة التى انتهت بتكوين امبراطورية ضخمة تعد من أضخم امبراطوريات العالم القديم ، فقد غزا آسيا الصغرى ، وضم بلدانا يونانية ، واستولى على بابل ، وتوفى عام ٥٢٩ق.م (٢٠).

وكانت أولى القواعد السياسية التى قامت عليها دولة " قورش " أن يترك الشعوب المختلفة التى تتألف منها حرية العبادة والعقيدة الدينية ، لأنه كان عليما كل العلم بالمبدأ الأول الذى يبنى عليه حكم الشعوب ، وهو أن الدين أقوى من الدولة ، ومن أجل ذلك لا نراه ينهب المدن ويخرب المعابد ، بل نراه يبدى كثيرا من الإكبار والمجاملة لآلهة الشعوب المغلوبة ، ويسهم بماله فى المحافظة على أضرحتها ، بل إن

البابليين أنفسهم ، وهم الذين قاوموه طويلا ، قد التفوا حوله وتحمسوا له حين رأوه يحافظ على هياكلهم ويعظم آلهتهم (٢١)٠

وقد خلف قورش ابنه " قمبيز " والذى أنفذ حملة إلى مصر فاحتلها ، وهكذا تضخمت تلك الامبراطورية إلى الدرجة التى نجد فيها أنها ضمت المناطق التالية (٢٢): مصر - فلسطين - سوريا - فينيقيا - ليديا - فريجيا - ايونيا (وهى المدن اليونانية فى السواحل الغربية للأناضول) - كبدوكيا - كليكيا - ارمينيا - بابل وآشور - بلاد الميديين - فارس - القوقاز - أفغانستان وبلوخستان - الهند - بلاد الصفد - بلاد البخت - مساجيتا - ولاية تضم قبائل التركمان فى أواسط آسيا ٠

وعندما خلف " دارا " قمبيز فى حكم مصر سار على نفس السياسة التى سبق أن وضع أسسها سابقوه من الحكام الفرس ألا وهى احترام الديانة المصرية، ولا نزاع فى أن ذلك قد أرضى المصريين تماما وبخاصة عندما نعلم أن هذه كانت النقطة الحساسة عندهم (٢٣) ٠ ومن ثم نرى فى عهد " دارا " أن الإلهة " نيت " قد حافظت على مكانتها الممتازة بين الآلهة المصريين فى تلك الفترة من تاريخ البلاد ، وقد أعلن الملك أنه ابن هذه الالهة ، ولا نزاع أن الملك " دارا " هو الذى شرع فى بناء معبد للاله " آمون رع " فى الواحة الخارجة (٢٤) ٠ لكن سياسة الفرس فى أواخر عهدهم بمصر تغيرت كثيرا فقد تميزت بالقسوة والاضطهاد وإهانة المصريين فى ديانتهم ومعتقداتهم٠

وكانت حياة فارس حياة سياسية وحربية أكثر منها اقتصادية ، عماد ثروتها القوة لا الصناعة ،ومن أجل هذا كانت مزعزعة الكيان أشبه ما تكون بجزيرة حاكمة وسط بحر واسع خاضع لسلطانها خضوعا غير قائم على أساس طبيعى ٠ وكان النظام الامبراطورى يمسك هذا الكيان المصطنع من أقدر الأنظمة ، ولا يكاد يوجد له شبيه ، فقد كان على رأسه الملك أو خشترا أى المحارب ، ومنها اسم ملك إيران " الشاه " قبل الثورة الإسلامية ، وهو لقب يدل على منشأ الملكية العسكرى وصبغتها العسكرية (٢٥)

ولم يكن يوجد فى هذه الدولة قانون غير إرادة الملك وقوة الجيش ، ولم تكن فيها حقوق مقدسة تستطيع الوقوف أمام هاتين القوتين ، كما أن التقاليد والسوابق لم تجد

نفعا إلا إذا كانت مستمدة من أمر ملكى سابق ، ذلك أن الفرس كانوا يفخرون بأن قوانينهم لا تبديل لها ، وأن الوعد أو المرسوم الملكى لا ينقض بأى حال من الأحوال ، فقد كان اعتقادهم أن قرارات الملك وأحكامه إنما يوحيها إليه الإله أهورا - مزدا نفسه(٢٦) .

وعلى يد الاسكندر الأكبر بدأت قصة النهاية للدولة الاخمينية فى عهد دارا الثالث ٣٣٦-٣٣٠ ق.م ، فقد نجح الاسكندر فى إقناع اليونانيين عامة والأثينيين خاصة فى محاربة بلاد الفرس ، وكانت أول انتصارات الاسكندر عام ٣٣٤ ق.م، وكان عمره لا يتجاوز واحدا وعشرين عاما . ثم استطاع أن يقتحم بابل فى عام ٣٣١ ، ثم فتح العاصمة الفارسية برسيبوليس فى عام ٣٣٠ ق.م (٢٧) .

ولم يكن اليونانيون عموما ، ومنهم الاسكندر ، أولئك المتعصبون المتشددون دينيا كما ساد التشدد والتعصب الدينى معظم بلدان الشرق ، وربما كان سبب ذلك ، نزعة اليونان الفلسفية وتحكيمهم العقل والمنطق فى معالجة أمور الحياة والإنسان والكون ، لذلك كانت جميع الظروف مهيأة لامتزاج شعوب العالم القديم ببعضها وتناقل أفكارها ومعطياتها وعناصر حياتها المادية ، وكان من نتيجة هذا الامتزاج النقلة النوعية الكبيرة فى عناصر حضارة الإنسان والتى شملت جميع فروع العلوم والمعرفة والآداب والأفكار وينتقل الاسكندر من معبد آمون فى واحة سيوه إلى معبد كردوخ فى بابل ويأمر بإعادة بنائه مع غيره من المعابد المهدمة ، ويشارك فى الاحتفالات الدينية الوطنية لهذين المركزين الحضاريين القديمين ويمنح سكانهم الحرية فى إجراء طقوسهم الدينية ويدعم كهنتهم ، ويولى زعمائهم المناصب الإدارية (عدا العسكرية) والوظيفية (٢٨) .

وزاد الاسكندر من تبنيه للشرقيين وعاداتهم واحترام آلهتهم والمشاركة بطقوسهم الدينية ، عندما أمر جنوده وضباطه من اليونان بأن يقبلوا الأرض بين يديه على عادة الفرس عند مقابلة ملوكهم على الرغم من معرفته الأكيدة بأن هذا الرسم الشرقى يتنافى مع أبسط مقومات أفكار الإغريقى ، ولكنه كان جادا فى مسعاه وكانت خيرات الشرق وثرواته تجلب إليه بمزيد من الحماس (٢٩).

وعندما توفى الاسكندر عام ٣٢٣ ق.م ، قسمت تركته بين قواده فكان أن قامت فى إيران الدولة السلوقية ، ثم استطاع قوم آخرون أن يؤسسوا دولة على أنقاضها ، هؤلاء هم البارثيون ، الذين يعرفون فى التاريخ أيضا باسم الأرشكيين Arsacids نسبة إلى ملوكهم الأول - كانوا فى الأصل قبيلة من قبائل الساكا Saka تنتقل فى منطقة تقع شرقى بحر قزوين ، ثم سيطرت بعد ذلك على إقليم بارثوا Parthava الذى كان تابعا للدولة الاخمينية (٣٠) .

وقد اعتبر البارثيون أنفسهم وارثين للأخمينيين فى الناحية السياسية ، فاستبدلوا حضارتهم الضحلة بحضارة مستعارة هى فى أعلى صورها مزيج من الحضارة الإيرانية والإغريقية (الهيلينية) وقد سمى أحد الملوك نفسه فيلهيلين (أى محب للإغريق) ، واختيرت الأساليب اليونانية فى الحياة ، كما اختيرت اللغة اليونانية - فى البداية - لغة رسمية (٣١).

ثم استطاع " أردشير " فى حوالى عام ٢٢٤م أن يؤسس لدولة جديدة عرفت باسم الدولة الساسانية . ويتميز قيام هذه الدولة فى إيران ببروز روح جديدة تتمثل فى إعادة خلق الفكر الشرقى مقابل الهيلينية ، وكان النظام الإدارى ووحدة الأقاليم وتوحيد البلاد تحت لواء فكر دينى رسمى هى الأسس المتينة لهذا البناء الذى استمر قائما إلى نهاية الدولة الساسانية ، وواصل تأثيره للفترات اللاحقة (٣٢).

وكان المجتمع الإيرانى مقسما إلى أربع طبقات : رجال الدين ، ورجال الجيش ، والكتاب ، والعوام ، وهم يشملون الفلاحين والتجار وأصحاب الحرف . وكان أفراد الجماعات الثلاث الأولى يكونون طبقة الأشراف ، وهى مقسمة إلى أربع درجات لكل واحدة منها شعارها وألقابها الخاصة بها (٣٣) .

وكانت عاصمة الدولة هى مدينة شابور فى إقليم فارس ، وظلت الفارسية الوسيطة - المكتوبة بحروف بهلوية معقدة مضطربة - لغة العصر الساسانى ، غير أن هذه اللغة سرعان ما فقدت جزءا كبيرا من تعقيداتها النحوية ، وأخذت تقترب من صورتها الأخيرة التى تسمى الفارسية الحديثة (٣٤) .

ومن المهم أن نعلم أن الجاه الذى كان يتمتع به طبقة الكتاب (دبيران) فى إيران واضح غاية الوضوح ، فإن الإيرانيين كانوا دائما يعنون بالشكل ، فالوثائق الرسمية ومراسلات الأفراد ينبغى أن تصاغ صوغا أنيقا ، فتختلط بنبذ من أقوال الحكماء ، والحكم الخلقية والدينية والأشعار والألغاز ، لكى تكون الرسالة أو الوثيقة جميلة ، كما أن الطريقة التى يصاغ بها الكتاب ويوجه ، يراعى فيها الفوارق بين رتبتى المرسل والمرسل إليه مراعاة دقيقة (٣٥).

وكان الكتاب دبلوماسيين حقيقيين ، فقد كانوا يملون كل أنواع الوثائق ، ويسيطرون على مراسلات الدولة ، ويصيغون جميع الأوامر الملكية ، وينظمون قوائم الضرائب ومحاسبات الدولة ، وكان عليهم فى الكتابة للأعداء وخصوم الملك أن يقسطوا فى كتابتهم ويراعون الظروف التى يكتبون فيها ، فيطبعوا كتابتهم بالمسالمة أو التهديد والوعيد . ولكن إذا كانت للعدو الغلبة ، عرضت حياة الكاتب للتلف ، وهكذا قتل سابور بن أردشير الأول بيده بنداد كاتب آخر ملوك ألبرت ، لأنه كتب رسالة مهينة باسم ملكه إلى الملك أردشير (٣٦) .

التربيـــــة الدينيـــة :

كررنا فى مواقع سابقة متعددة أن الدين بالنسبة لأهل الشرق بصفة خاصة له منزلة لا تدانيها منزلة ، من حيث قوة التوجيه وعمق التأثير وقدم التشكيل السلوكى ، مما يجعل من الحديث عن الفكر الدينى والممارسات الدينية فى حضارة شرقية حديثا فى التربية الدينية .

وهنا نجد أن الفرس كانوا قديما يعبدون الحيوانات والأجداد والأرض والشمس ، وكان هذا الدين يتفق مع دين الهندوس فى كثير من عناصره وآلهته .وكان أكبر الآلهة عندهم " ميثرا " إله الشمس و " أنا هيتا " إله الأرض والخصب والنماء . و " هوما " الثور المقدس الذى زعموا أنه مات ثم بعث حيا ، ووهب الجنس البشرى دمه شرابا ، ليسبغ عليه نعمة الخلود (٣٧).

وكانوا ، علاوة على ذلك ، يقسمون الموجودات إلى قسمين : القسم الأول ، يشمل الموجودات الخيرة التى تصدر عن قوى الخير وتبعث على السعادة ، ومن مظاهرها : النهار والخصب والصحة والجمال والاستقامة ، وما شابهها ٠ والقسم الثانى ، يشمل الموجودات الشريرة التى تصدر عن قوى الشر ، وتبعث على البؤس والشقاء ، ومن مظاهرها : الليل والشتاء والجفاف والقحط ، والأمراض ، والقبح ، والكذب ، وأمثالها كما سبق ٠

ولم يعجب هذا " زرادشت " (٦٢٨-٥٥١ ق٠م) - أو " زورآستر Zoroaster (وهو الإسم الذى شاع أكثر عند اليونان) الذى أخذ ينادى بجملة من الأفكار ويدعو إلى سلوكيات ، ويبشر بمجموعة من القيم والاتجاهات مما عرف فى جملته باسم :" الزرادشتية " ، والتى تحولت إلى ديانة رسمية لإيران قبل الإسلام ٠ والواقع أنه ربما عاش فى فترة مبكرة عن ذلك التاريخ ، ونحن لا نعرف عن تفاصيل حياته إلا أقل القليل ، رغم أن التقوى - وهذا شىء لا مفر منه - قد جملت الحكايات التى تروى عنه بعاطفة الحب (٣٨)٠

وكان الكتاب المقدس للدين الجديد هو مجموعة الكتب التى جمع فيها أصحاب النبى الجديد ومريدوه أقواله وأدعيته ، وسمى أتباعه المتأخرون هذه الكتب الأبستا (الأبستاق) ٠ ومما يدهش القارىء أن يعلم أن ما تبقى من هذا الكتاب إن هو إلا جزء صغير للغاية من الكتاب الأصلى ، ويمكن تقسيم هذا الذى تبقى إلى خمسة أجزاء(٣٩):

١ - اليزنا ، وتتألف من خمسة وأربعين فصلا من الطقوس الدينية التى كان الكهنة الزرادشتيون يترنمون بها ، ومن سبعة وعشرين فصلا (من الفصل الثامن والعشرين إلى الرابع والخمسين) وتسمى الجتها ، وتشتمل على أحاديث زرادشت ، وما أوحى إليه مصوغة فى عبارات موزونة كما يظهر ٠

٢ - الوسبرد ، ويشتمل على أربعة وعشرين فصلا أخرى من الطقوس الدينية ٠

٣ - الونديداد ، ويشتمل على اثنين وعشرين فصلا أو فرجودا ، وهى تشرح فقه الزرادشتيين وقوانينهم الأخلاقية ، وهى التى تتألف منها - فى العصر الحديث - شريعة البارسيين الكهنوتية (فى الهند)٠

٤ – اليشت ، أى التسبيحات الغنائية ، وهى واحد وعشرون نشيدا فى الثناء على الملائكة تتخللها أقاصيص تاريخية ونبوءة عن آخر العالم .

٥ – وآخرها الخرد أبستاق ، أى الأبستاق الصغيرة ، وهى صلوات تتلى فى مناسبات فى الحياة المختلفة .

وقد أراد زرادشت أن يعيد عقيدة الناس فى ذلك العصر إلى صفائها وطهرها الأول ، لكن المشكلة فى شرح هذه الديانة الوضعية أن هناك تباينا فى الشروح قد يذهب بها عند البعض إلى مجال القول بالتعدد فى الآلهة ، وإن كان هناك من هذه الآلهة من هو أقوى ، والبعض قد يحشرها ضمن الديانات القائلة بالتوحيد . وربما يكون أصحاب المنحى الأخير متأثرين ببعض المؤرخين من ذوى الأصول الفارسية ممن دخلوا الإسلام ، فمالوا إلى تقديم الزرادشتية فى صورة قريبة من الإسلام .

ومن الشروح الأولى ، هذا الذى يذهب إلى أن خلاصة هذه الديانة هى : أن العالم ناشىء من أصلين هما النور والظلمة ، وهذان الأصلين فى نزاع معا ، ويتناوب الإثنان الانتصار والهزيمة فيما بينهما ، ولهذا قسم العالم إلى قسمين : جيش النور أو الخير وجيش الظلمة أو الشر ، وعلى رأس قوى قسم الخير أهورا مزدا ، ويرأس قوى الشر أهريمن ، ويساعد أهورا مزدا ستة كائنات مجردة هى التى تعرف باسم (أمش سبنتان) ، أى القوى الخالدة المقدسة وهى تقف أمام عرش أهورا مزدا وتنفذ أوامره ، ويدير أهورا مزدا العالم بواسطتهم (٤٠) .

وقد أكدت مصادر أخرى أن دين زرادشت كان دين توحيد ، يحرم الشرك بالله وعبادة الأصنام (٤١) . وقد أبطل زرادشت جميع معتقدات (موغوش) ، أى المجوس القدماء ، قائلا : ليس هناك قوى روحية كثيرة للخير ، ولا عفاريت كثيرة للشر ، إنما هو إله واحد ، اسمه (أهورامزدا) الذى ليس كمثله شىء ، وهو الواحد ، الأحد ، القدوس ، الصمد ، وهو الحق والنور ، وهو الحكيم القادر الذى لا يشاركه فى ملكه وربوبيته شىء ، وإن القوى الروحية التى زعموها خالقة للخير ليست بخالقة ، بل هى نفسها من خلق أهورامزدا .وكذلك صرح زرادشت بأنه ليس للشر إله ، بل الذى يأمر بالشر هو الشيطان (أنغرامى ينوش) الذى حرف إلى (أهرمن) .

وإن من العناصر الأساسية للدين الزرادشتى ، الاعتقاد بالحياة الأخروية ، فهو يقول : لا تنتهى حياة الإنسان بموته فى هذا العالم المادى ، بل له حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا ، فالذين عملوا الصالحات فى حياتهم الدنيا يدخلون عالم السعادة ، والذين دنسوا نفوسهم بالشرور يدخلون عالم الشقاء . والاعتقاد ببقاء الروح من معتقدات هذا الدين الأساسية ، فهو يقول بفناء الجسم ، أما الروح فيبقى ويلاقى جزاءه (٤٢) .

ولكن أكبر فخر لزرادشت أن الصورة التى تصورها لإلهه هى أنه يسمو على كل شىء ، وأنه عبر عن هذه الفكرة بعبارات لا تقل إجلالا عما جاء فى سفر أيوب (٤٣):

هذا ما أسألك عنه فأصدقنى الخبر يا أهورا مزدا : منذا الذى رسم مسار الشموس والنجوم ؟

ومنذا الذى يجعل القمر يتزايد ويتضاءل ؟

ومنذا الذى رفع الأرض والسماء من تحتها وأمسك السماء أن تقع ؟

منذا الذى حفظ المياه والنباتات ؟

ومنذا الذى سخر للرياح والسحاب سرعتها ؟

ومنذا الذى أخرج العقل الخير يأهورا مزدا ؟

وعلى الرغم من أن زرادشت أدان معظم التراث القديم ، فإنه لم يتخلص منه تماما ، فهو بوصفه كاهنا قد وضع عددا من ترنيماته فى الشكل التقليدى المأثور ، ورأى أن طقوس النار القديمة هى رمز النور والقانون الكونى لله ، فاستخدمها فى صلواته ، كما أن بعض صفات الإله - على أقل تقدير - هى تعديلات للأفكار الآرية القديمة كفكرة الحق مثلا . ولقد كان على استعداد ، كذلك ، لاستخدام الصورة المعتادة لمحاسبة الفرد بعد الموت . لكن ما أخذ من أفكاره قد عدله وشكله من جديد بطريقة فريدة ، فحبه لله تطلب منه أن يعمل من أجل العدالة ، والوفاق الاجتماعى ، وأن يعارض الأعمال المدمرة التى يقوم بها الغزاة من البدو لاعتقاده بأن الحياة الريفية المستقرة هى نموذج للسلام والحق (٤٤) .

وليس هناك شك بالنسبة لتعاليم مؤسس أى دين وضعى بصفة خاصة من أن تتطور وأن تتعدل عن طريق أتباعه ، ولم تكن الزرادشتية استثناء من هذه القاعدة ، فأفكار

زرادشت قد قننت وعدلت وتلاءمت مع أفكار العصر وحاجاته . ولم يفسد أتباعه تعاليمه عمدا ، ولكن يبدو أنه حدث " تلاق والتحام " بين تعاليمه وبين الإيمان التقليدى فى التراث ، وكانت النتيجة إيمانا عميقا يعبر عنه بطريقة أسطورية .

ثم ظهر فى عهد الدولة الساسانية مبشر آخر بديانة جديدة " معدلة " قال بها " مانى " الذى قيل أنه قد أوحى إليه مرتين لكى ينشر الدين الحقيقى بين الناس ، خلال عهد سابور الأول الذى تولى الملك عام ٢٤٢م. ومثل زرادشت رأى أن العالم قائم على أصلين هما الخير والشر ، أو النور والظلمة، والله هو الملك الأول ، والشيطان هو الملك الثانى ومملكتهما بلا نهاية (٤٥).

ورأى مانى أن الشر كان موجودا على الدوام ، وسيظل موجودا إلى الأبد ، أما بالنسبة للإنسان وسائر المخلوقات فقد كان يرى أن الخير والشر ممتزجان معا فيه ، لأن الإنسان له روح الخير والشر . ويوجد فى مقابل عقل الخير ووجدانه وشعوره عقل الشر ووجدانه وشعوره . وقد خلقت الروح الخيرة الرحمة والأصل الطيب والصبر والحكمة . وخلقت الروح الشريرة الحقد والغضب والشهوة والحماقة . وفى عقيدة مانى أن التناقض يكون فقط بين النور والظلمة فلن ينتهى أحدهما ولن يتصل بالثانى ، وكانا موجودين دائما وسبقيان (٤٦) .

ولعله يكون من المناسب أن نتوقف أمام بعض ترانيم زرادشت كأمثلة تشير إلى ما كان يدعو إليه من قيم مربية (٤٧) :

بالنسبة للشرير والرجل المستقيم ..
وهذا الذى يجمع بين الخطأ والصواب ..
ستكون المحاكمة بالنظام القائم ...
تبعا لقوانين هذا الوجود ..

من بالكلمة أو الفكر الأبدى ..
يلحق الأذى برجل الشر ..

أو هذا الذى يحول ابن عشيرته إلى الخير ..
كلاهما يسعدان الرب وينفذان مشيئته ..

هذا الذى ينتمى إلى الأسرة أو القرية أو القبيلة أيها الرب
ويصنع نعمة لرجل الصلاح أو يكد فى رعاية القطيع ،
سيصير فى مرعى " الحق " و " العقل الخير " ..

فى هذه الترنيمة ثلاثة مقاطع تتناول الصالح والشرير بوجه عام والأعمال التى تحدد صفة كل منهما ، والمعاملة التى سيجدانها فى هذا الوجود أى الوجود الأرضى ، يلى ذلك أحد عشر مقطعا تناول " زرادشت " نفسه كرجل صلاح وخير (٤٨) .

المقطع الأول يستهل بالعقاب الذى يناله الخير والشرير ، والذى يجمع بينهما طبقا لقوانين المجتمع كتنظيم كائن .والمقطع الثانى يوضح أن معاقبة الشرير سواء بالفكر أو الكلمة أو الفعل نوع من العمل الصالح كما هو الشأن بالنسبة لمن يحول أحدا من أسرته أو قبيلته أو قريته إلى طريق الخير ، فكلا الأمرين يتفقان مع إرادة الرب . أما المقطع الثالث فيضيف إلى العمل الطيب الخير الذى يقدمه الإنسان إلى الآخرين وأيضا العناية بتربية الثيران مصدر الرزق ، بهذا يكون المرء فى انسجام مع الثالوث ويستحق الهناء .

حركة الثقافة :

إذا رجعنا إلى عهود حركة الثقافة الإيرانية الأولى فسوف نجد فقرا واضحا ، فمثلا ، ليست لدينا معلومات كافية عن حضارة الميديين ، ولعل من أسباب ذلك أن النقوش التى دونت إبان عصور الميديين لم يكشف النقاب عنها بعد مما ييسر معرفة لغتها وخطها ومعتقداتها وصناعاتها وأشياء أخرى تتيح لنا كثيرا من المعرفة ، كما أنه لم يبق من الآثار شىء من الأبنية والعمارات وإن اكتشفت فقط أشياء منها جزئية فى بعض الأماكن من إيران ، يعتقد المختصون أنها تتعلق بلغة الميديين وترتبط بها ، ولا نعلم شيئا عن نظم تلك سوى النزر اليسير ، وأن بعض الملوك الميديين قلدوا كثيرا من

النظم المتبعة فى بلاط الأشوريين ، وزادوا عليها ، ولكن الاحتمال القوى يتجه إلى الاعتقاد بأن الميديين كانوا على درجة كبيرة من الرقى والحضارة (٤٩) .

أما فى عهد الأشكانيين ، فلم يعثر على آثار معمارية ونقوش للملوك الأشكانيين باستثناء فقرة أو فقرتين ، ولم تكتشف كذلك نقوش حجرية باللغة البهلوية ترجع إلى عهد الأشكانيين (٥٠).

وتعتبر الفنون الحربية من فنون هذا العصر التى لا شبهة فيها ، وكانت رائجة عند البارثيين جدا ، وخاصة الفروسية والرماية التى وجب على الشباب تعلمها . وشاع أسلوب حربى واحد لدى الفرسان البارثيين يعرف بحرب الكر والفر ، ولم يكن لديهم خبرة بفن الحصار واستعمال آلاته وأدواته ، إذ كانوا يحطمون آلات الحصار وأدوات الاستيلاء على القلاع التى يملكها الروم بعد الاستيلاء عليها ، ولم يكن جنود المشاة يقدرون قيمتها (٥١) .

أما بالنسبة لعلوم العصر الأشكانى ، فلا يمكننا ذكر شىء فى هذا الصدد ، إذ أنه لم تصلنا آثار بشأنها ، ولكن ، لما كانت هناك أشياء كثيرة معتادة فى عصر الأشكانيين وبقيت كما هى فى عصر الساسانيين أيضا ، فمن هنا يمكن استنباط أن رجال الدين كانوا يعلمون الناس القراءة والكتابة والحساب كما هو الحال بالنسبة للعصر الساسانى (٥٢) .

لكن هذا لا يجعلنا نغفل الإقرار بأن الفرس ، وفقا لعديد من الشواهد والقرائن الأخرى ، قد أصبحوا ، بجدارة أصحاب ملك قديم وحضارة عريقة ، ومعرفة بالعلوم ، فهم ورثوا الآشوريين والبابليين فى الرياضيات والطبيعيات ، ونقلوا إلى لغتهم كثيرا من اليونان علوما شتى منذ بعث سابور بن أردشير إلى بلاد اليونان يستجلب كتبا ويأمر بنقلها إلى الفارسية ، وقد حفظها فى خزائنه وشجع على نسخها ودراستها (٥٣).

ثم فر إلى فارس طائفة من الفلاسفة الوثنيين حينما اضطهد جوستنيان الوثنية فى دولة الروم وأغلق هياكلها ومدارسها ، فاستقبلهم كسرى أنوشروان ورحب بهم ، وأقاموا عنده ينقلون الكتب اليونانية إلى الفارسية ، ويؤلفون كتبا فى الفلسفة والعلوم ، ويدرسون فى معهد الدراسات الطبية والفلسفية الذى أنشأه كسرى أنوشروان بمدرسة جنديسابور (٥٢١-٥٧٦ م) ، فشاعت العلوم اليونانية بفارس كما شاعت من قبل علوم الهند والصين ٠

وقد احتل الكتاب منزلة رفيعة فى المجتمع الفارسى وخاصة فى العهد الساسانى ، وقد ذكر الخوارزمى فى كتابه مفاتيح العلوم سبع وظائف لكتاب الدواوين فى العصر الساسانى هى (٥٤) :

١ - داد دفيره (أى كتابة الأحكام) ٠
٢ - شهرهمار دفيره (أى كتابة البلد للخراج) ٠
٣ - كده همار دفيره (أى كتابة حساب دار الملك) ٠
٤ - كنج همار دفيره (أى كتابة الخزائن) ٠
٥ - آهو همار دفيره (أى كتابة الاصطبلات) ٠
٦ - آتش همار دفيره (أى كتابة حسابات بيوت النار للوقود) ٠
٧ - روانكان دفيره (أى كتابة الأوقاف) ٠

ولم تكن هذه هى كل الوظائف الكتابية التى يؤديها كتاب العصر الساسانى ، فقد كان ثمة أعمال كتابية أخرى ، تتناول الموضوعات الفلسفية والطبية ، وكتابة العهود والمواثيق ، والكتابات الموسوعية ، والمترجمات ، تلك التى نوهت بها المصادر الأدبية والتارخية العربية ٠

ولعلنا ندرك منزلة الصدق التى أحلها أرباب القلم فى العصر الساسانى حين نتذكر أن كسرى أنوشروان قد أمر بإعفائهم من الضرائب ولاجزية ٠ ويقال فى هذا المقام إن سبعين كاتبا كانوا ملازمين لديوان كسرى أنوشروان ، وذلك ما عدا بزرجمهر وزيره الأعظم ، وشاهبور موبذ موبذان - الزعيم الدينى للمجوس -، ويزدجرد رئيس الديوان الملكى ٠ ويحدثنا القلقشندى عن منزلة الكتاب فى العصر الساسانى فى قوله : " وكانت

ملوك الفرس - لرفعة الكتابة عندهم - تجمع أحداث الكتاب ونواشلهم المعترضين لأعمال الملك ، ويأمرون رؤساء الكتابة بامتحانهم ، فمن رضى أقر بالباب ، ليستعان به ، ثم يأمر الملك بضمهم إلى العمال واستعمالهم فى الأعمال ، وينقلهم فى الخدم على قدر طبقاتهم من حال إلى حال ، حتى ينتهى الواحد منهم إلى ما يستحقه من منزلة " (٥٥) .

كذلك تتجلى لنا المكانة الرفيعة التى حظى بها كتاب العصر الساسانى فيما ذكره ابن قتيبة من أنه قرأ فى بعض كتب العجم أن موبذان موبذ - قاضى المجوس - وصف الكتاب فقال : " كتاب الملوك رعيتهم المصونة عندهم ، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم الشاهدة ، لأنه ليس أحد أعظم سعادة من وزراء الملوك إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهادهم للملوك اجتهادهم لأنفسهم ، فلا يتهم روح على جسده ، ولا يتهم جسد على روحه ، لأن زوال ألفتهما زوال نعمتهما ، وأن التئام ألفتهما صلاح خاصتهما " (٥٦) .

وقد حوت الكتب الدينية التى دونت وجمعت فى العصر الساسانى قصصا وروايات عديدة اكتسبت قداسة عن الإيرانيين لورودها فى كتبهم الدينية ، كما دونت كتب وروايات كثيرة غير دينية فى الأدب البهلوى ، وقد ترجم كثير منها إلى العربية وأشارت إليها ونقلت عنها مصادرنا العربية مثل عيون الأخبار وكتاب المعارف لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هجرية - ٨٨٩م ، والأخبار الطوال للدينورى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية - ٩٢٢ م ، ومروج الذهب ، والتنبيه والإشراف للمسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هجرية - ٩٥٧ م ، وغيرها من المراجع الإسلامية عربية وفارسية (٥٧) .

ويستفاد من الإشارات الواردة بالتوراة أنه كان للفرس منذ أيام الميديين والأخمينيين كتب دونت فيها أخبار أسلافهم كما هو مفصل بالإصحاح الرابع من سفر عزرا بالآيات من ١١ إلى ١٥ ، والآيات من ١٧ إلى ٢٤ ، وآخر الإصحاح الثانى من سفر أستير بالآيتين ٢١ ، ٢٢ ، والإصحاح السادس بالآيات من ١ إلى ٣ ، والآيتين ١ ، ٢ وأول الإصحاح العاشر بالآيتين ١ ، ٢ . ومما لا شك فيه أن هذه الكتب كانت تشكل مصادر

للتعلم والتعليم ، فكثرتها تشير إلى كثرة طالبيها ، وأنها كانت تحقق وظيفة تعليمية مهمة ، مهما قيل عن بعضها أنه إنما ألف بأمر هذا الحاكم أو ذاك .

وعرفت الثقافة الفارسية عددا من الكتب التى ترجمت إلى العربية فيما بعد ، وإن تصرف المترجمون فى بعض الأحوال فيما ترجموه ، وكأن هذه الترجمة كانت إعادة صياغة ، من هذه الكتب كتاب " سندبانامه " أى كتاب سندباد ، وهو كتاب من كتب الأسمار المنقولة عن البهلوية ، وقد ألف قبل الإسلام بعدة قرون ، وينسب تأليفه إلى حكيم هندى يسمى " سندباد " ، وقد ذكره المسعودى فى كتابه " مروج الذهب " فى باب أخبار الهند وملوكها (٥٨) .

ومن كتب المتقدمين التى صاغها من جديد من جاء بعدهم على غرار كتاب سندباد الكتاب المعروف باسم " بختيارنامه " ، أى كتاب بختيار ، وهو شبيه بكتاب سندباد فى مبناه ، مما جعل المستشرق " هرمان إته Hermann Ethe " يذهب إلى أنه كتب فى العصر الإسلامى تقليدا له ، غير أن عنوان هذا الكتاب ومقدمته فى الطبعة التى أخرجتها مجلة أرمغان الفارسية فى طهران سنة ١٣١٠هجرية /١٩٣٢م يفيدان أن الكتاب من آثار العصر الساسانى ، وقد ترجمه من البهلوية إلى الفارسية ، شمس الدين محمد الدقائقى المروزى فى حدود القرن السادس الهجرى (٥٩) .

ونرى فى الفارسية كتابا آخر لا خلاف فى نسبته إلى الفرس ، أصابه ما أصاب " بختيارنامه " من تغيير الإسم والرسم ، وقد ألف هذا الكتاب باللهجة الطبرية فى خلال القرن الرابع الهجرى على ألسنة الوحوش والطيور والإنس والجن والشياطين ، ومؤلفه هو الأصفهبذ بن رستم بن شروين بن بريم أحد ملوك طبرستان من آل باوند ، ومن هنا عرف فى الفارسية باسم " مرزبان نامه " ، أى كتاب مرزبان (٦٠) .

وإن مزيدا من القراءة والتحليل للأدب الفارسى يظهرنا على أنه موفور المادة إلى حد فيه الكفاية ، إذا ما قصدنا منه جانبه الأخلاقى ، وهو الأمر الذى يغرى مؤرخ التربية بصفة خاصة ، فلم يكن أدبا للتسلية وقضاء وقت الفراغ ، ولا هو مما يندرج تحت باب " الأدب للأدب " ، ولا حتى " الأدب للحياة " أو للمجتمع وإنما كان أدبا للتربية

بحكم ما كان يحتويه من مواعظ أخلاقية ، لتضمنه تعاليم خاصة بتوجيه السلوك ، والدعوة للتى هى أقوم ، والنصح بما تصلح به الحال ، والحض على ما تستقيم به الحياة (٦١).

ويشير مؤرخو الثقافتين العربية والفارسية إلى ترجمة العرب لعدد آخرغير قليل من الكتب الفارسية ، وإن دل هذا على شىء فإنه يدل على أن العرب أخذوا عن الفرس ما أخذوا وعرفوا عنهم ما عرفوا من تراثهم القديم الذى نقل إلى لغتهم ، وبذلك ازدهرت الحضارة الإسلامية ، وربما يكون من الضرورى الإشارة هنا إلى كتاب " كليلة ودمنة " الذى تضاربت فيه الأقوال ، ولسنا فى حاجة إلى الخوض فى هذا الخلاف ، وحسبنا أن نخرج منه إلى المتعارف المشهور ، ونوجز القول مبينين أن الكتاب من وضع حكيم لدبشليم ملك الهند ، ولما أراد الملك أن يجزل صلته عفت نفسه عن قبولها، وجعل البديل من الصلة أن يأمر الملك بتدوين الكتاب والمحافظة عليه فكان للحكيم ما طلب ، وصدر أمر الملك بحفظ الكتاب فى خزانة . ومرت ثمانية قرون وعرف كسرى أنوشروان خبر هذا الكتاب وسمع عنه الأعاجيب ، وهو المشغوف بالعلم والحكمة ، فأوفد كبير أطبائه الذى عاد حاملا إياه وترجم إلى الفارسية ، ثم ترجمه عبد الله ابن المقفع إلى العربية (٦٢) .

وقد عرف العرب بعض أخبار الفرس وقصصهم ، كقصة رستم وإسفنديار ، وقد ذكر ابن هشام أن النضر بن الحارث كان من شياطين قريش ، وممن يؤذون النبى عليه الصلاة والسلام ، وكان قد شخص إلى الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وقصة رستم وإسفنديار . وذكر ابن ابى أصيبعة أن النضر رحل إلى فارس وتعلم بها ، فكان الرسول إذا جلس مجلسا وذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب الطغاة من قبلهم ، خلفه النضر فى مجلسه إذا قام ، وقال يا معشر قريش إنا والله أحسن منه حديثا ، فهلم إلى ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس وعن رستم وإسفنديار ، وهو الذى قال : سأنزل مثل ما أنزل الله (٦٣) ، وفيه نزلت ثمانى آيات من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : " إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين " ، وروى أنه اشترى كتب الفرس ليحدث منها ، وأنه المقصود بقوله تعالى : " ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ، أولئك لهم عذاب مهين " .

وقد عرفت كتب الروايات والملاحم فى الثقافة الفارسية بالشاهنامات ، أى كتب الملوك ، ولا غرابة فى هذا ، لأن أبطالهم الأسطوريين كما تصورهم هذه الكتب ، كانوا ملوكا ذوى عروش وتيجان يدينون لملك الملوك (شاهنشاه) بالإخلاص والولاء ، يتفانون فى خدمته ويحاربون تحت رايته ويستمدون وجودهم من التفافهم حول عرشه وتفديته بالمهج والأرواح ، له الأمر وعليهم الطاعة . ولكن الحديث عن هذه الشاهنامات ينصرف بالأذهان قصدا إلى ملحمة الفرس الكبرى التى استكملت كل مقومات الملاحم الحية الخالدة واستوعبت شتى مواضيع الحياة ، إلى " شاهنامة " الفردوسى ، فهى بحق ملحمة أمة وحياة شعب وقلب شاعر (٦٤) .

ففى القرن الرابع الهجرى ، قام فى نفس السلطان محمود الغزنوى أن يبعث القومية الفارسية بعد أن تم القضاء عليها بما كان من تقويض العرب أركانها ، وشاء أن يكون لمآثر الفرس ومناقبهم فى سمع الدنيا دوى يوقظها من سبات غفلتها عما لا يسعها أن تنساه أو تتناساه (٦٥) ، فأمر الفردوسى الشاعر بحمل الأمانة على بصيرة وتحقيق الأمل بحيث يصبح ملء العين والقلب ، فأمره بنظم الشاهنامه ، بمعنى كتاب الملوك ، وفيه سرد لتاريخ فارس منذ أول التاريخ إلى الفتح الإسلامى ، ولسنا نبالغ إذا قلنا إن الفرس ، إلى يومنا هذا ، يعتبرون الشاهنامه أهم وأعظم ما فاضت به قريحة شاعر فارسى ، وذلك من وجوه ، أهمها أنها تتضمن مفاخر الفرس فى سرد تاريخى على نحو أدبى ، مما يكفل دوام استقرار ذلك التاريخ فى الخواطر على خلود الزمن(٦٦) .

ومع ذلك فلابد من القول بأن الفرس لما كانوا قد وهبوا أنفسهم لإقامة صرح الامبراطورية ، فإن وقتهم لم يتسع لغير الحرب والقتال ، ولذلك كان جل اعتمادهم فى الفنون على ما يأتيهم من البلاد الأجنبية ، شأنهم فى هذا الشأن الرومان سواء بسواء . نعم إنهم كانوا يتذوقون جمال الأشياء ، ولكنهم كانوا يكلون إلى الفنانين الأجانب أو إلى من فى بلادهم من الفنانين أبناء الأجانب صنع هذه الأشياء ويحصلون من الولايات التابعة لهم على المال الذى يؤدون منه أجور أولئك الفنانين ، وكانت لهم بيوت جميلة وحدائق غناء ، تستحيل فى بعض الأحيان بساتين للصيد ومسارح للحيوان ، وكان لهم أثاث قيم غالى الثمن : من نضد مصفحة برقائق الفضة والذهب أو مطعمة بها ، وسرر

فرشت عليها أغطية جاءوا بها من غير بلادهم ، وطنافس لينة جمعت كل ألوان الأرض والسماء يفرشون بها أرض حجراتهم (٦٧) ٠ وكانوا يشربون فى كؤوس من الذهب ويزينون موائدهم ورفوفهم بمزهريات من صنع الأجانب ، وكانوا مولعين بالعزف والغناء وبأنغام الناى والقيثار والنقر على الطبول والدفوف ٠

وهكذا لم يحتل الفن إلا منزلة محدودة فى الحضارة الفارسية ٠ إننا لا نجد تماثيل للآلهة ، أو هياكل ، إذ اكتفت الآلهة بالمذابح ، لا بل زهدت بهذه الأخيرة مرارا ، ولا نجد أيضا قبورا ، للأفراد أقله ٠ وحسب علمنا لم يشيد الشخص لنفسه بيتا كبيرا ولم يأت بأى ابتكار فى هذا المجال من حيث الهندسة أو الزينة ، ومع ذلك يوجد فن فارسى ، إذ وجد ملوك فرس لم يستطيعوا التخلى عن التقاليد التى تربطهم بالملوك الشرقيين ، ولأنهم فاقوهم قوة وغنى ، وقد أعلنوا أنفسهم " الملوك الكبار ، ملوك الملوك " ، أرادوا أقله مساواتهم بما خلدوا من آثار ، لا بل فرض عليهم مثل هذا السلوك مقامهم فى أعين رعاياهم الإيرانيين الذين اعتقدوا بأن ما ينتخبه الأهارمازدا هو من جوهر سام جدا (٦٨) ٠ ومن هنا أصبح يمكن القول أن الفن الفارسى غلب عليه أن يكون " فنا ملكيا " ٠

وإذا كانت حروب الشاهنامه حافلة بفنون التعبئة ومكايد الحرب وآداب المبارزة والقتال وطرق المحاصرة ، ودق القلاع بالمجانيق والاستيلاء عليها بالحيلة أو بالنقب فى أصولها أو بتسلق أسوارها ٠٠وهكذا ، فإن سير الملوك والأبطال خارج نطاق الحروب حافلة كذلك بأنماط من التقاليد والعادات يضيق المقام باستقصائها ، وربما يمكن الاكتفاء بإشارة موجزة إلى بعض من عاداتهم فى الزواج حيث تبدأ الحياة بكل مقوماتها ومقتضياتها (٦٩) ٠

فقد كان من عادة الإيرانيين الزواج بالمحارم والجمع بين الأخوات ومصاهرة غيرهم من الأمم ، ولكنهم - فيما يبدو - كانوا يأنفون من تزويج نسائهم من الشعوب الأخرى ٠ ولم تتزوج الإيرانيات من الأجانب إلا فى حالة الهزيمة ، فكان زواجهن أشبه ما يكون بالسباء ٠ وكان على الأبطال إذا أرادوا التزوج أن يحصلوا على موافقة الملك لإتمام مراسم الخطبة والزواج ٠ ولم يكن الزواج ليتم دون موافقة المرأة كذلك(٧٠)٠

التربيـــــة العامـــــة :

ونقصد بالتربية العامة هنا مستويين ، أولهما بعض الممارسات المجتمعية العامة المشيرة إلى أساليب وقيم تربوية شائعة بين الناس ، ورد بعض منها فيما أوردنـاه فـى صفحات سابقة ، ونزيد عليه فى فقرات تالية ، وهذا الجزء بناء على هذا لن نستفيض فيه ٠ وثانيهما مجموعة من الكتابات المصورة لقيم تربوية تصلح أن ترشد الناس فـى سلوكهم إلى ما هو كفيل باستقامة الطريق وسواء السبيل ٠

فمن حيث المستوى الأول ، نجد أن الجمهـرة الكبرى مـن الفـرس ، كـانوا يتحلـون بالصراحة والكرم وحفظ الود وسخاء اليد ، يراعون آداب المجـالس ويحرصـون عليهـا حرصا لا يكاد يقل عن حرص الصنينيين ٠ وكانوا إذا تقـابل منهـم شـخصان متسـاويان فى المرتبة تعانقا وقبل كل منهما الآخر فى شفتيه ، فإذا قابل الواحد منهم من هو أعلى منه منزلة انحنى له انحناءة كبيرة تشعر بالخشوع والاحترام ، وإذا التقى بمن هـو أقل منه قدم له خده ليقبله ، فإذا قابل أحد السوقة اكتفى بانحناء رأسه ٠ وكانوا يستنكرون تناول شيء من الطعام أو الشراب على قارعة الطريق (٧١) ٠

وكـان الفـرس يعدون النظافـة أكبر النعم التـى لا تفضلهـا إلا الحيـاة نفسـها ، وأن الأعمال الطيبة إذا صدرت عن أيد قذرة كـانت لا قيمـة لهـا ، لأن الإنسـان إذا لـم يقـض على الفساد (وربما يكون المقصود " الجراثيم ") ، فإن الملائكة لا تسكن فى جسمه ٠ وكان يسوؤهم أن أن يبصـق الإنسـان أو يتمخـط أمـام النـاس ٠ وكـانوا يفرضـون أشـد العقوبات على من يتسـببون فـى نشـر الأمـراض المعديـة ، وكـانت الشـريعة الأبسـتاقية كالشريعتين البرهمية والموسوية مليئة بمراسـيم التطهـير والحـذر مـن القـذارة ٠ وفـى كتاب الزرادشتيين فقرات طويلة خصت كلها بشرح القواعد الواجب اتباعها لطهـارة الجسد والروح ، وقد جاء فيها أن قلامة الظفار وقصاصات الشعر ، وإخراج النفس مـن الفم ، كلها أقذار يجب علـى الفارسـى العـاقل أن يتجنبهـا إلا إذا كـانت قد طهـرت مـن قبل(٧٢) ٠

وكان الأبناء ، كما كان الزواج ، من الشروط الأساسـية للإجـلال والإكبـار ، فـالذكور منهم ذوو فائدة اقتصادية لآبائهم وحربية لملوكهم ، أما البنات فلـم يكـن يرغبـن فيهـن

لأنهن كن ينشأن لغير بيوتهن وليستفيد منهن غير آبائهن . ومن أقوال الفرس فى هذا المعنى : " إن الرجال لا يدعون الله أن يرزقهم بنات ، والملائكة لا تحسبهن من النعم التى أنعم بها على بنى الإنسان (٧٣) . وكان الملك فى كل عام يرسل الهدايا إلى الآباء الكثيرى الأبناء ، كأن هذه الهدايا ثمنا لدمائهم يدفع مقدما .

وحفلت الآثار المدونة الفارسية بكثير مما يشير إلى مدى اهتمام بعض حكام الفرس بأمر التكوين التربوى ، فمن ذلك ما جاء فى الشاهنامه عن أردشير بالنسبة لتربية جنوده العسكريين ، فقد أحب أن تتكاثر جنوده وتتضاعف جيوشه ، فألزم كل من رزق ابنا أن يعلمه آداب الفروسية ومراسمها ، حتى إذا استكمل أسباب ذلك وأحكمها واستوفى أقسامها واستوعبها صار إلى باب الملك فكتب العارض فى جريدة الجيش اسمه ويعطيه من المعيشة رسمه ، فإذا عرض حرب أو حدث خطب ، سار تحت راية قائد عسكرى ، ووكل على كل ألف منهم موبذا (رجل دين) خبيررا بالأمور ، عارفا بأحوال الجمهور ، وجعله عليهم كالرقيب يخبره بما يرى من غنائهم ، ويطلعه على شجاعهم وجبانهم ، فيأمر الملك حينئذ بإكرام الشجاع وإثباته فى ديوان الجيش ، وبإسقاط الجبان وتعريضه لما يتأتى منه من الحرف والأشغال (٧٤).

كذلك كان أردشير لا يستخدم فى ديوانه جاهلا ولا يستعمل فيه إلا من كان عالما ، وكان ذا عناية بمن يكون حسن الخط فصيح القلم بارعا فى البلاغة ، فمن كان حظه من الأدب أوفر كان أحرى بنيل أفضاله وأجدر . وكان يعظم الكتبة ويكرمهم ويقول ، إنهم خزنة سرى وأنسباء روحى . وكان إذا أنفذ منهم واحدا إلى طرف من أطراف المملكة أوصاه وقال : لا تبع جواهر الرجال بأعراض الأموال ، ولا يكن لك مطلوب سوى الصلاح والسداد ، وتجنب عن مظان الحرص والفساد ، ولا تستصحب من أولادك وأقاربك أحدا ، وحسبك بمن نضم إليك عونا وملتحدا ، واجعل عليك للفقراء كل شهر راتبا لا تخل به ، ومن يحسدك فاحرمه معروفك ولا تعتن بأمره (٧٥).

وفى الشاهنامه أيضا أن يزدجرد لما ولد له ولد وسماه " بهرام " ، نصحه المحيطون به أن يعهد به إلى من يحسن تنشئته وتربيته ، خوفا منهم ، إن ظل فى كنف أبيه الذى كان فظا فى حكمه ، أن ينشأ مثله ، وبالفعل أسلمه إلى حاكم الإمارة العربية :" المنذر

بن النعمان " ، باعتبار – حسب ما قال المنذر " ما خصصنا به من آداب الفروسية ، وعندنا جماعة من المتبحرين فى العلوم النجومية والهندسية " (٧٦) . وقد أسلمه المنذر إلى أربع نسوة ذوات أجسام صحيحة وأنساب صريحة وأذهان ذكية وآداب مرضية مدة أربع سنوات ، ثم إذا بالمنذر يفاجأ بالصبى ذى السنوات السبع يقول له : لا تعدنى صبيا رضيعا ، وسلمنى إلى من يعلمنى الأدب والعلم ، ولا تتركنى منهمكا فى البطالة والكسل .

لم يعجب المنذر هذا الطلب ، فكان رده على الصبى أنه ما زال بعد صغيرا ، ولم يأن ذلك ، ووعده بأنه إذا بلغ سنا يطيق فيه التعلم والتأدب أحضر له من يعلمه ذلك ، فإذ بالصبى يقول له : أيها الرجل ، لا تستصغرنى ، وانظر إلى بعين الكبر ، فالذنب للعين لا للنجم الصغير ، فإنى وإن كنت صغير السن فعقلى وافر ، وأنت وإن كنت طاعنا فى السن فعقلك ناقص ، وغريزتى مباينة لغريزتك ، فلا تنظر إلى نظرك إلى نفسك . وإنك إذا انتظرت زمانا آخر لتعلمنى وتؤدبنى فات الوقت ولم يثمر عند ذلك الجد والجهد فعلمنى ما يليق بالملوك من الآداب ، فإن التعلم رأس مال ذوى الألباب ، وطوبى لمن عنى بخاتمة أمره فى ريعان عمره (٧٧).

وبالطبع فقد أثار هذا الحديث دهشة المنذر البالغة، وبالفعل أتى للصبى بأربعة من الموابذة : أحدهم ليعلمه الخط والكتابة ، والثانى ليعلمه الصيد والطرد ، والثالث من يعلمه الرماية واللعب بالكرة والصولجان ومطاردة الأقران فى الضراب والطعان ، والرابع من يسرد عليه سير الملوك وتواريخهم ويخبره عن أفعالهم الحميدة وأقوالهم السديدة (٧٨) .

وقد عرف التراث الفارسى جملة من أدب النصائح والحكم التى هى فى حقيقتها مثل وقيم تربوية ، كان لها موقعها الهام على خريطة هذا التراث ، ويمكن تحديد المطالب التى ابتغتها الحكم والنصائح والوصايا من الإنسان فى ثلاث قضايا : حيث " يطلب من الفرد أن يعمل عملا طيبا ، وأن يقول قولا طيبا ، وأن يفكر إذا خلا إلى نفسه فكرا طيبا " (٧٩) . وما يجعل لهذه الحكم والآداب فاعلية وتأثيرا إيجابيا هو أنها واقعية ، موضوعة لتطبق فى أوساط المعتقدين ، تتجافى عن الخيال والتهويم فى عوالم خارجة

عن قدرة الإنسان ، حيث تؤكد " الأبستا " أو الأوفستا أن على الإنسان واجبات ثلاثة : أن يجعل العدو صديقا ، وأن يجعل الخبيث طيبا ، وأن يجعل الجاهل عالما (٨٠) .

وقد ظل هذا الإحساس بجدوى الحكم والنصائح يساير النفس الفارسية حتى غدا جزءا من كيانها ، يحدد تصرفاتها ونظراتها إلى قضايا الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وفق مسارات ومرتكزات تضمن لها حسن المعاد والمعاش على حد سواء . ومن هنا فإنه من الطبيعى أن يكون لملوك فارس القدامى قدر كبير من هذه الحكم والنصائح والعهود حفظته لنا المصادر الأدبية والتاريخية . وقد بلغ من احتفاء ملوك فارس بهذه الحكم والنصائح أن أحدهم كان " إذا خلف عهدا يعهده إلى الموك من بعده كان واجبا على من يخلفه من الملوك أن يدمنوا قراءته ويكثروا تدبره ، وألا تحدث لهم قوة السلطان وحميته أنفة منه ولا زهادة فيه . وكان حفظ آخرهم عهد أولهم رأس الأمور التى أصلحوا ، وكان تضييع ذلك رأس الأمور التى بها هلكوا " (٨١).

وليس هناك شك فى أن أمر الاهتمام بالحكم والنصائح قد جاوز أعتاب الملوك بلاطاتهم ، ليكون أبرز خاصية التصقت بالنفس الفارسية وتركت فيها آثارها ، فثمة قصص وحكايات أخلاقية لا حصر لها منتشرة فى إيران ، وكانت تقصد إلى أخذ العبرة والعظة (٨٢) . وقد وصل إلينا من العصر الساسانى جملة من الكتب ترمى إلى غايات تعليمية وتهذيبية وخلقية عرفت عندهم باسم " أندرزنامها " أو " بندنامها " ، ولفت صاحب (تراث فارس) الانتباه إلى هذه النوعية من الكتب ، فذكر : " وهى التى تعرف بأدب " النصح " (أندرز) . ولا تزال لدينا نماذج من هذا الأدب ، هذا النوع الأخير من الكتابات الذى يعتبر " بندنامه بزرجمهر " (نصائح بزرجمهر) الوزير الحكيم لكسرى أنوشروان - أشهر مثال له - لونا من الإنتاج تميزت به العبقرية الإيرانية، وكان له أكبر الأثر على آداب الإسلام التى ظهرت من بعده " (٨٣) .

ونقل " عبد السلام " عن الجاحظ فى كتابه " المحاسن والأضداد " قوله : " إنه فى تاريخ الإيرانيين حوادث عظيمة وأيضا مواعظ وحكم عامة المنفعة وأيضا فى الأمور التى تشير إلى علومهم وعظمتهم " . كذلك ورد فى كتب الجغرافيين والسائحين الأوائل

ضمن مشاهداتهم أنهم رأوا بعض الآثار الإيرانية فى عصور ما قبل الإسلام وكتبوا عن مشاهداتهم وما جمعوه من أخبار(٨٤)٠

وهذا دليل على أن كتاب العصر الساسانى كانوا يهتمون بالتراث الأخلاقى ، وباعثا على أن يدونوا عبارات تشتمل على نصائح وحكم بدلا من تزيينها بالصور والرسوم على أغلب أطرزة الملابس أو أطراف السجاجيد أو الموائد أو فى وسط بعض الكئوس أو على الخاتم ، مثلما كان منقوشا على خاتم كسرى أنوشروان " به مه نه مه مه " ، ومعنى ذلك " الأجود هو الأكبر وليس الأكبر هو الأجود " (٨٥) ٠

ومن دلالات الاهتمام غير العادى بالأدب الأخلاقى أن " ابن النديم " قد أثبت فى " الفهرست " خمسة عشر كتابا فارسيا محورها الأساسى هو مواعظ وحكم ونصائح ، مما يشكل مضمون التربية الأخلاقية المنشودة (٨٦) :

١ - كتاب زاد الفروخ فى تأديب ولده ٠
٢ - كتاب مهراد وحسيس الموبدان إلى بزرجمهر بن البختكان ٠
٣ - كتاب كسرى إلى ابنه هرمز يوصيه حين اصطفاه الملك وجواب هرمز إياه ٠
٤ - كتاب ملك من الملوك الخالية إلى ابنه فى التأديب ٠
٥ - كتاب عهد كسرى إلى من أدرك التعليم من بيته ٠
٦ - كتاب عهد أردشير بابكان إلى ابنه سابور ٠
٧ - كتاب موبدان موبد فى الحكم والجوامع الآداب ٠
٨ - كتاب عهد كسرى إلى المرزبان وإجابته إياه ٠
٩ - كتاب ما كتب به كسرى إلى المرزبان وإجابته إياه ٠
١٠ - كتاب إرسال ملك الروم الفلاسفة إلى ملك الفرس يسأله عن أشياء من الحكمة
١١ - كتاب ما أمر به أردشير باستخراجه من خزائن الكتب التى وصفها الحكماء فى التدبير ٠
١٢ - كتاب سكر بيرى بن مرديود لهرمز بن كسرى ورسالة كسرى إلى جواسب وجوابها ٠
١٣ - كتاب كسرى إلى زعماء الرعية فى الشكر ٠
١٤ - كتاب سيرت نامه تأليف حدا هود بن فرخزاد ٠

١٥ - كتاب على بن زين الأنصارى فى الآداب والأمثال على مذاهب الفرس والروم والعرب .

ويذكر " عبد السلام " أن الكتاب الأول غير موجود حاليا (٨٧) .

ويذهب كثيرون إلى أن ابن المقفع قد ترجم (الأدب الكبير) و (الأدب الصغير) عن الفارسية ، مما يدفعنا إلى أن نتوقف عند بعض ما ورد به من أفكار وآراء تربوية ، فمن ذلك بيانه (فى الحث على تعرف أهل العلم وفضله) (٨٨) ، جاء فيه مخاطبا طالب العلم بأنه إن كان يريد العلم فعليه أن يعرف الأصول (القوانين والقواعد) ، و الفصول (الفروع) ، على أساس أن هناك من الناس من ينفقون جهدهم فى الفروع ، فتضيع منهم الأصول ، فيصبح تعلمهم غير مجد ، لكن الذين يركزون الجهد فى تحصيل الأصول ، يستطيعون أن يستغنوا بها عن الفروع ، وأمر مثل هذا مما نقول عنه فى فكرنا المعاصر من أهمية التركيز فى التعليم على " الأساسيات " ، فوعى الطالب بها إما أن يغنيه عن التفاصيل ، وإما أن ييسر له سرعة الإلمام بها .

ويسوق كاتبنا أمثلة فى بعض المجالات لما يمكن أن يشكل أصولا تستحق من المتعلم أن يوجه إليها جهده :

- ففى الدين ، تدور الأصول والأساسيات حول صحة الاعتقاد ، وتجنب الكبائر ، وتأدية الفرائض ، ثم إذا استطاع طالب العلم أن يجاوز ذلك إلى التفقه فى الدين والعبادة فهو أفضل وأكمل .

- وفيما يتصل بالشأن الجسدى ، فإن صلاح الجسد إنما يكون بالاعتدال فى المأكل والمشرب والممارسة الجنسية ، ومن الأفضل العلم بما ينفع الجسد ويضره .

- ومن حيث البأس والشجاعة ، فمن المفروض ألا تفكر فى الفرار بينما الأصحاب فى اشتباك مع العدو ، بل إن استطعت أن تكون أول من يبادر بالاشتباك وآخر من ينتهى منه ، فهذا يعد عملا فاضلا .

- ومن حيث الجود والكرم ، فألا يضن الإنسان بالحقوق على أهلها ، بل من الأفضل أن نزيد ذا الحق على حقه ، ونعطى من لا حق له (٨٩) .

ويسوق ابن المقفع فى الأدب الكبير العديد من المواعظ الأخلاقية التى يوجهها بطريق مباشر إلى القارىء الراغب فى مزيد من الاتسام بالأخلاق الفاضلة ، فمن ذلك(٩٠) :

- ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك رفدك (عطاءك) ، ومحضرك (مشهدك) ، وللعامة بشرك وتحننك ، ولعدوك عدلك وإنصافك ، واضنن بدينك وعرضك على كل أحد

- ويسوق ابن المقفع فى النصيحة التالية ما يقع مباشرة فى الفئة التى نسميها " الأمانة العلمية " من حيث ضرورة أن ننسب كل رأى وكل فكرة مما نستعين به إلى صاحبه ، فيقول :

إن سمعت من صاحبك كلاما أو رأيت منه رأيا يعجبك فلا تنتحله (تنسبه لنفسك) تزينا به عند الناس ، واكتف من التزين بأن تجتنى الصواب إذا سمعته وتنسبه إلى صاحبه ، واعلم أن انتحالك ذلك مسخطة لصاحبك ، وأن فيه مع ذلك عارا وسخفا .

- .. ولا تخلطن بالجد هزلا ، ولا بالهزل جدا ، فإنك إن خلطت بالجد هزلا هجنته (قبحته) ، وإن خلطت بالهزل جدا كدرته .

لكن هناك موقفا يمكن أن يكون خلط الجد بالهزل محمودا ، وهو أن يقابلنا سفيه بسفه قول وسىء لفظ " فتجيبه إجابة الهازل المداعب .. وطلاقة وجه وثبات من المنطق " (٩١) .

ومن المعروف أن التربية الخاصة بالحكام والملوك احتلت مكانة مهمة فى دائرة التربية الأخلاقية الفارسية ، كما تدلنا الجمهرة الكبرى من الكتابات الأدبية الفارسية ، وكذلك تلك الكتابات العربية التى رددت ما كان لدى الفرس ، فمن ذلك ما أشار إليه " الجاحظ " فى الكتاب المنسوب إليه (التاج فى أخلاق الملوك) ، فمن الأمثلة التى يحتويها مما يظهرنا على لون من النظم والتربية الأخلاقية الخاصة بالحكام وذوى السلطة (٩٢) :

- من حق الملك ألا يحدث على طعامه بحديث جد ولا هزل ، وإن ابتدأ بحديث فليس من حقه أن يعارض بمثله . وليس فيه أكثر من الاستماع لحديثه والأبصار خاشعة ، ولشىء ما كانت ملوك ساسان إذا قدمت موائدهم زمزموا عليها ، فلم ينطق ناطق

بحرف حتى ترفع ، فإن اضطروا إلى الكلام كان مكانه إشارة وإيماء يدل على الغرض الذى أرادوا والمعنى الذى قصدوا ٠

- ومن حق الملك أن يكتم أسراره عن الأب والأم والأخ والزوجة والصديق ، فإن الملك يحتمل كل منقوص ومأنوف (الرجل المكروه) ، ولا يحتمل ثلاثة : صفة أحدهم أن يطعن فى ملكه ، وصفة الآخر أن يذيع أسراره ، وصفة الآخر أن يخونه فى حرمه ٠٠ وكان كسرى أبرويز يقول : يجب على الملك السعيد أن يجعل همه كله فى امتحان أهل هذه الصفات ، إذ كانت أركان الملك ودعائمه ٠

وفى كتاب (سندبادنامه) نجد أن الملك " كورديس " لما ولد له ولد وسلمه إلى أحد المربين ليعلمه ثقافة وآداب الملوك ، ولم يتعلم شيئا مدة عشر سنين ، أمر فأحضروا الفلاسفة ، وعقد محفلا ، وقال لهم بطريق الاستشارة والاستخارة : لابد للملوك من معرفة شروط الرياسة ، والإلمام بلوازم السياسة ، وفيض الفضل وبسط العدل ، والفكرة الصحيحة ، والرأى النجيح ، وحل وعقد أولياء الدولة ، وخفض ورفع أعداء المملكة ، وقمع الأعداء وقهر الحاسدين ، وتربية الأولياء وتخويف الأعداء ، وحل المشكلات ، ودفع المعضلات ، وآيين (نظام) الملك على سنن العظمة ، وشرائع الفتوة ، ولوازم المروة ، واستمالة الأصدقاء ، واستقالة عثرة الخدم ، لأن مناصب الملك لا يمكن ضبطها بغير الفراسة الكاملة ، والسياسة الشاملة وإحراز الآراء ، وإفاضة الآلاء ، (فيجب أن يختار) من جملة الفلاسفة من يهتم بإتمام هذا المهم ، ويقوم بمواجب هذه الخدمة ، ويؤدى شرائط الشفقة ولوازم النصيحة ، ويعلمه ويلقنه دقائق العلم والحكمة ، ويصيره محتظيا ومتوافرا بالعدل ، بحيث يصير - بإمداد العلم والحكمة - مستعدا لسرير المملكة والسلطنة ٠٠(٩٣) ٠

وعندما اتفق الحكماء على أن " سندباد " هو أصلح من يتولى مهمة تربية ابن الملك وتعليمه ، قال له الملك : ٠٠ فيجب أن تفهمه وتقدم له مكارم الأخلاق ، ومحامد الأوصاف ، ومقاييس السياسة ، وقوانين الرياسة ، وآداب السلطنة ، ودقائق الشريعة ، وحقائق الطريقة ، ليصير مجربا ومهذبا ، والثقة والاعتماد بعد فضل أكرم الأكرمين ،

وفيض أرحم الراحمين ، على كفايتك وشهامتك ، وعندما تظهر آثار ذلك على صفحات أحواله ، وحواشى أعماله ، تؤدى حقوق المناصحة ..(٩٤) .

ويورد " العكوب " فى دراسته المتميزة عددا وفيرا من القيم الخلقية التى وردت فى الحكم الفارسية مما له دوره فى تنشئة الشخصية ذات السلوك المستقيم ، فمن ذلك :

- العقل والعلم (٩٥) : إذ ترفع الحكمة الفارسية العقل إلى مرتبة عالية جدا فى سلم الفضائل لا يضاهيها فى السمو والرفعة إلا العلم ، ويذكر أنه قيل لأنوشروان : ما بزر جميع الفضائل ؟ قال : العقل والعلم . قيل : هل فوق العقل والعلم شىء ؟ قال : التوفيق يزينهما ، والخذلان يشينهما . وتلح حكم الفرس على طلب العلم ، الذى هوسبيل لصلاح الدين والدنيا ، فقد قال أحدهم : لسنا بالكد فى طلب المتاع الذى نلتمس به دفع الضر والعيلة بأحق منا بالكد فى طلب العلم الذى نلتمس به صلاح الدين والدنيا.وتحدد حكم الفرس أفضل أنواع العلم ، إذ العلم عندهم على أربعة أوجه : أن تعلم أصل الحق ، الذى لا يقوم إلا به ، وفروعه التى لابد منها ، وقصده الذى لا يقع إلا فيه ، وضده الذى لا يفسده إلا هو .

- المشورة (٩٦) : فتعلق الحكم الفارسية كبير اهتمام على موضوع التشاور والتناصح ، لما يمثله من اجتماع الآراء لينتخب سدادا وصوابا . وينسب إلى أوشهنج قوله : " المستشير متحصن عن السقط والمستبد متهور فى الغلط " . وتشير الحكم الفارسية بجرأة إلى ضرورة المشورة ، إذ يقال إنه قيل لقباذ : أى شىء أنفع للعاقل ؟ وأى شىء أضر له ؟ قال : أنفع الأشياء له مشاورة العلماء ، والتجربة ، والتؤدة ، وأضرها له الكسل ، واتباع الهوى ، والعجلة فى الأمور .

- القناعة والتواضع (٩٧) : فلهذه القيمة محل فسيح فى الحكمة الفارسية ، وتحدد لنا هذه الحكمة معنى القناعة ومعنى التواضع ، فيذكر أنه قيل لأنوشروان : ما القناعة ؟ وما التواضع ؟ قال : أما القناعة فالرضا بالقسم ، وسخاء النفس عما لا ينبغى الرغبة فيه . وأما التواضع ، فاحتمال الأذى من كل أحد ، ولين الجانب لمن هو دونك

٠ وقيل له : ما ثمرة القناعة ، وما ثمرة التواضع ؟ قال : ثمرة القناعة الراحة ، وثمرة التواضع المحبة ٠

اللغـــة والكتابـــة :

فى العهد العيلامى كانت اللغة الأنزانية هى أقدم لغات الأهالى ، وقد تلاشت تلك اللغة فى الألف الثالث قبل الميلاد ، ثم راجت بعد ذلك اللغة السومرية واللغة السامية ٠ وفى عام ١٥٠٠ ق٠م تم إحياء اللغة الأنزانية فجأة ، وبدأ انتشارها واستعمالها ، وهذا يشير إلى أن اللغة الأنزانية لم تكن قد تلاشت نهائيا ، وإنما كانت مستخدمة بين الأهالى ، ولكن النقوش كانت تكتب باللغتين السومرية والسامية ، لأن اللغة إذا ماتت لا تحيا من جديد ٠ والخط العيلامى هو خط مسمارى (٩٨) ٠

ومما يجدر ملاحظته أن سكان إيران القدماء كانوا يتكلمون بلغات متعددة ، هذه اللغات ما هى إلا لهجات أصلها من مجموعة اللغات الهندية الأوربية ٠ وإذا نظرنا إلى الولايات التى كانت تتكون منها الدولة الأخمينية (٥٥٠-٣٣١ق٠م) فسوف نجد أن كل ولاية كانت لها لغة خاصة بها٠ وبسبب عدم وجود آثار مكتوبة أو مدونة على نقوش ، أصبح من العسير ذكر معلومات وافية عنها ٠

واللغة الفارسية القديمة هى إحدى لغات جنوب غرب إيران ، وكانت لغة البلاط الأخمينى ، وإحدى اللغات الرسمية للدولة الأخمينية ، وأيضا لغة العديد من النقوش الأخمينية ، وتكتب من اليسار إلى اليمين ٠ وقد دون الملوك الأخمينيون من قورش الكبير مؤسس الأسرة الأخمينية (٥٥٩-٥٥٢ق٠م) حتى أردشير الثالث (٣٥٩-٣٣٨ق٠م) شروحا لحروبهم وانتصاراتهم بهذه اللغة وبخط مسمارى أخمينى محفور على الصخور والآثار المبنية والقبور والألواح الذهبية والفضية والحجرية والطينية والأوانى والكئوس والأختام (٩٩) ٠

وحينما تعلم الفرس الكتابة ، استعملوا اللغة الآرامية فى كتابة وثائقهم كما استعملوا الخط المسمارى البابلى فى نقوشهم ، وقد بسطوا المقاطع البابلية الكثيرة ، وأنقصوها من ثلاثمائة مقطع إلى ستة وثلاثين مقطعا ظلت تتطور حتى صارت حروفا اشتمل

عليها هجاؤهم المسمارى ٠ وكـانت اللغة الآرية ، وطريقة رسم خطها شائعتين فى أسواق بابل ومراكز التجارة الهامة ، لأنها - لسهولتها - تناسب المعاملات التجارية من أخذ وعطاء ، فكانت الأوراق والأسانيد التجارية تكتب بهذه اللغة ، بالقلم والحبر على أوراق البردى ، لأن الكتابة بهذه الطريقة أيسر من الكتابة على القوالب الطينية ، واستطاع الناس بذلك التعامل فى المسائل التجارية فى سهولة ويسر ، وتمكنوا من نقل الأسانيد التجارية من مكان إلى مكان ، وحفظها حتى لا يتطرق إليها التلف (١٠٠)٠

أما فيما يختص بكنه اللغة الفارسية القديمة ، فيجب أن يكون واضحا أنها مثل اللغة السنسكريتية - أى لغة الكتب الهندية المقدسة - واللغة الأوستائية ، أى اللغة التى كتبت بها الأوبستا ، كتاب زرادشت المقدس ، وأنهما قد نشآ عن اللغة الآرية المشتركة ، أى أن هذه اللغات الثلاثة أشقاء من صلب واحد ٠ أما عن معلوماتنا عن تلك اللغة المشتركة التى هى أصل اللغة الحالية ، فليس بين أيدينا شىء عنها لأن تلك اللغة المشتركة كان يستخدمها الآريون قبل ثلاثة آلاف سنة على الأقل قبل الميلاد ، وتاريخ الكتابات التى خلفها الجنس الآرى لا ترجع إلى أكثر من ألف وأربعمائة سنة قبل الميلاد (١٠١) ٠

ويبرهن ديورانت على الأصل المشترك للفارسية القديمة والسنسكريتية وبعض اللغات الأوربية من خلال القائمة التالية لبعض الكلمات (١٠٢) :

الفارسية القديمة	السنسكريتية	اليونانية	الألمانية	الإنجليزية	اللاتينية
Nama	Nama	Anoma	Nahm	Name	Nomen
Matar	Matar	Meter	Mutter	Mother	Mater
Bratar	Bhratar	Phrater	Bruder	Brother	Frater

وعندما سقطت مدينة بابل فى يدى قورش الكبير سنة ٥٣٨ق٠م كانت اللغة الآرامية فى تلك الفترة شائعة فى الشرق كله ٠ وكان تعامله مع سكان بابل باللغة الآرامية وليس بالفارسية ، وهذا فى حد ذاته دليل على أن اللغة الارامية كانت اللغة السائدة والمتعارف عليها رسميا فى الدولتين الأخمينية والبابلية (١٠٣) ، كما شجع

قورش على اتخاذ اللغة الآرامية لغة رسمية لدولته ، كما هى اللغة الرسمية والشعبية الأجزاء الغربية من الإمبراطورية الأخمينية والتى تشمل بابل وسورية .

وبعد سقوط الدولة الأخمينية على يد الأسكندر المقدونى ، انتشرت اللغة اليونانية فى الأراضى المفتوحة ، ومنها إيران ، واستمر تواجد اللغة الآرامية بين الإيرانيين . وفى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد قل عدد الأشخاص الذين كانوا يعرفون الآرامية ويستطيعون الكتابة بها ، وبعد فترة تركت الكتابة الآرامية تماما ، وأصبحت لغة العوام فى غرب إيران ليس أكثر ، وبذلك فقدت مكانتها التى احتلتها فى عصر الدولة الأخمينية كلغة دولة ولغة عالمية ، إلا أن الكتاب الإيرانيين استمروا فى استخدام كلمات آرامية فى كتاباتهم ، وهذا ما أطلقوا عليه " الهزوارش " (١٠٤).

وقد اتسعت معارفنا باللغات الإيرانية المتوسطة اتساعا بينا بالاكتشافات التى تمت فى تركستان الصينية ، فقد أوضحت أفواج من البعثات العلمية عددا كبيرا من النصوص الأدبية الدينية ، ووثائق من أنواع أخرى مكتوبة بلغات مختلفة كان بعضها ، حتى ذلك الوقت معروفا معرفة قليلة وبعضها الآخر مجهولا جهلا تاما (١٠٥) .

وتعتبر اللغة الفارسية المتوسطة أو البهلوية الساسانية أو البارسيك امتدادا مباشرا للغة الفارسية القديمة ، وتعد من مجموعة غرب إيران ، وكانت اللغة الرسمية فى العصر الساسانى فى الفترة من أوائل القرن الثالث الميلادى حتى القرن السابع ، أى قرابة خمسة قرون هى عمر الدولة الساسانية (١٠٦) .

وإذا كانت اللغة الفارسية المتوسطة قد عاشت هذا العمر ، إلا أنها تلقت ضربة قاضية عندما دخل العرب دولة الفرس وانضوت منطقتها تحت مظلة الإسلام متحدثة باللغة العربية . وعلى الرغم من انتصار اللغة العربية ، إلا أنها لم تسلم من بعض غزو داخلى من الفارسية ، تجلى فى بعض الكلمات التى دخلت العربية . ومن الأمثلة التى يمكن أن تساق فى هذا السبيل شعر الشاعر العربى المعروف " الأعشى " ، إذ نجد فى شعره كلمات فارسية ، سواء أكان بعضها معروفا من قبله أم غير معروف ، منها أسماء فارسية للأزهار ، ذكرها فى وصفه لمجلس من مجالس الشرب واللهو (١٠٧).

ومن الكلمات الفارسية التى شاعت فى العربية كلمة " سمسار " ، وكلمة " بستان " ، و " الأباريق " و " التاج " و " الطراز " و " قابوس " و " زنجبيل " و " مهرجان " (١٠٨).

التعليم النظامى :

شحيحة هى تلك المصادر التى نستطيع من خلالها أن ندرس ما كان عليه التعليم النظامى فى الحضارة الفارسية إلى الدرجة التى دفعت البعض إلى أن يقرر بأن لم يكن هناك نظام للتعليم . ونظرا لإيماننا الراسخ بأنه ما من حضارة كبرى من الحضارات التى قامت فى التاريخ إلا واستندت إلى نظام للتربية والتعليم قوى ومنتج ، فمن الصعب أن نثنى على هذا القول بانتفاء وجود نظام للتعليم عند الفرس ، كل ما هنالك فإننا نعلق الحكم ، فلربما لم تتوافر المصادر والمعلومات فى الوقت الحاضر ، لكنها ، ربما ، قد تتوافر فيما بعد .ولعل هذا ما جعلنا نفصل القول أكثر بالنسبة لما أسميناه بالتربية العامة فى الجزء السابق .

وفى إطار الشك فى وجود نظام للتعليم ، ذكر " هيون تسيانج " أن الإيرانيين لا يعنون بالتعليم كثيرا ، ولكنهم يهتمون بأعمالهم . وليس من شك فى أن التعليم الأولى وجزءا من التعليم العالى ، على الأقل كانا محصورين فى رجال الدين ، وكان طابعهما ظاهرا ، أما تعليم الأطفال وشباب طبقات المجتمع العالية ، فلربما كانت المعلومات أكثر دقة ، فقد كان أبناء الأشراف يتلقون جزءا من تعليمهم مع أمراء البيت المالك فى القصر ، كما كان الحال أيام الأخمينيين ، تحت إشراف معلم خاص ، وكانوا يتعلمون القراءة والحساب ورمى القرص والشطرنج وركوب الخيل والصيد ، ومما لا يحتاج إلى بيان أن النبلاء الشبان كانوا يلقنون فن الحرب قبل كل شىء (١٠٩).

وذكر نص بهلوى زرادشتى إنه يجب على الشاب فى هذا السن أن يعرف أصول الدين كما جاءت فى الأوستا والزند ، وأن يعرف تاريخ الرجال وواجباتهم . وفى العشرين يمتحنه الحكماء والهرابذة والدساتير . ويصف خادم صغير فى بلاط كسرى الأول تفاصيل التعليم الذى تلقاه ، ففى السن المعين ألحق بالمدرسة حيث حفظ عن ظهر قلب الأجزاء الرئيسية فى الأوستا مع شروحها ، ثم فى التعليم المتوسط اهتم بدراسة

الأدب والتاريخ والفصاحة والفروسية ورمى السهام وتسديد الرمح ، ثم عزف الموسيقى والغناء ، وعلم النجوم وأتقن الشطرنج وأنواع الألعاب الأخرى ، وأخيرا عرض على الملك معرفته بأنواع المأكولات وفن اللبس (١١٠).

وكان الوليد يبقى فى حضانة أمه حتى سن الخامسة من عمره ، ثم يحتضنه أبوه حتى السابعة ، وفى هذه السن كان يمكن أن يدخل المدرسة . وكان التعليم قاصرا على أبناء الأغنياء ويتولاه الكهنة عادة ، فكان التلاميذ يجتمعون فى الهيكل أو بيت الكاهن ، وكان من المبادىء المقررة ألا تقوم مدرسة بالقرب من السوق حتى لا يكون ما يسودها من كذب وسباب وغش سببا فى إفساد الصغار ، أما طريقة التدريس فكانت الحفظ عن ظهر قلب ، وتكرار الفقرات الطويلة غيبا (١١١) .

وكان الواجب الوحيد المفروض على الطفل هو الطاعة ، وخطأوا كل من ضرب طفلا قبل السابعة من عمره . والظاهر أن تربية الأسرة لأبنائها كانت مشفوعة باللين والشفقة . وكان هناك حرص ، فى تعليم أبناء الأغنياء المجالات السابق الإشارة إليها ، من جانب المعلمين ، على الالتفات التفاتا خاصا لتعويدهم الصدق وضبط النفس ، ويسردون عليهم قصصا تشف عن شجاعة وشهامة أجدادهم الأبطال ، وأصبح أولئك المتعلمون ، وخاصة عندما يصلون إلى مرحلة الشباب ، أشداء أقوياء بفضل مثابرتهم على الرياضة البدنية ، فكانت مدارسهم أساسا لمدارس الفروسية التى أسسها الأوربيون فى العصور الوسطى (١١٢).

ولقد قال اكزنيوفون Xenophon الفيلسوف اليونانى إن أبناء الأشراف يرون فى القصور تمجيد الملك لكل من قام بعمل مجيد للوطن وتحقيره لمن يقصر فى ذلك الواجب فشجعهم ذلك على خدمة بلادهم وعرفوا طريقة سياسة الملك . وقال أفلاطون إن أبناء الملوك تعلموا حكمة زرادشت والعدل والشجاعة والاعتدال فى المأكل والمشرب .

وكانوا يستظهرون الأدعية والصلوات من الكهنة شفويا من غير الاستعانة بالمكتوبات شفويا ، وعندما يبلغون سن الخامسة عشر يتنمطقون الحزام المقدس فى

حفلة شائقة ، وكان ذلك الحزام مجدولا من اثنين وسبعين خيطا من شعر الجمال أو الصوف ، ولا يخلعه الصبى عن جسمه ليلا ولا نهارا لأنه فى اعتقادهم يحمى الأطفال من تأثير الشياطين ، وعند تقلد الصبى ذلك الحزام كان يتلو قطعة من الأوستا (الأبستاق) ويقسم أنه سيحافظ على قوانين ومبادىء زرادشت (١١٣) .

أما تعليم البنات فإن مصادرنا لا تمدنا بشىء منه ، وهناك من يظن أن تعليم البنات كان مقصورا على التدبير المنزلى . وتحدث مصدر آخر صراحة عن تعليم النساء أصول التدبير المنزلى . ونستطيع من أحد النصوص أن نستنتج أن نساء الطبقات العالية كن يلقن أحيانا درسا عميقا فى العلوم ، وكان أحد القضاة ذاهبا ذات يوم إلى المحكمة فأحاط به خمس سيدات فسألته إحداهن أسئلة عن بعض حالات خاصة فى الكفالة ، فلما بلغ السؤال الأخير لم يحر جوابا ، فقالت له إحداهن : أيها القاضى ، لا تكدن ذهنك وقل فى صراحة : لا أعلم ..!!(١١٤) .

وفى النهاية فإننا نلاحظ حقا أن الإمبراطوريات بطبيعة تكوينها سريعة الانحلال ، وأن الذين يرثونها تعوزهم جهود الذين ينشئونها ، ذلك فى الوقت الذى تهب فيه الشعوب الخاضعة لسلطانها وتستجمع قواها لتناضل فى سبيل ما فقدته من حريتها . ولم يعمل الفرس فى عهد ابمراطوريتهم الذى دام مائتى عام شيئا يخفف ما بين الشعوب الخاضعة لحكمهم من تباين ، أو يضعف من أثر القوى الطاردة التى تعمل على تفكك دولتهم ، بل قنعت هذه الإمبراطورية بأن تحكم خليطا من الأمم ، ولم تفكر فى يوم من الأيام فى أن تنشىء دولة حقيقية ، لذلك أخذت أسباب التفكك والاضمحلال تتسرب إلى جسدها شيئا فشيئا (١١٦) .

الهوامـــــش

١- سامى سعيد أحمد و رضا جواد الهاشمى : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، إيران والأناضول ، وزارة التعليم العالى ، بغداد ، د.ت ، ص ٢٣

٢- المرجع السابق ، ص ٢٤

٣- المرجع السابق ، ص ٨٢

٤- المرجع السابق ، ص ٨٣

٥- أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٨٩

٦- دونالد ولبر : إيران ، ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبد المنعم محمد حسنين وإبراهيم أمين الشواربى ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ١٠

٧- أحمد فخرى ، مرجع سابق ، ص ١٨٩

٨- المرجع السابق ، ص ١٩٠

٩- دونالد ولبر ، مرجع سابق ، ص ٢٢

١٠- المرجع السابق ، ص ٢٣

١١- إبراهيم رزقانة وآخرون : حضارة مصر والشرق القديم ، مكتبة مصر ، القاهرة ، د.ت ، ص ٤١١

١٢- المرجع السابق ، ص ٤١٢

١٣- أحمد فخرى ، مرجع سابق ، ص ١٩١

١٤- المرجع السابق ، ص ١٩٢

١٥- سامى سعيد أحمد ورضا جواد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ٥١

١٦- المرجع السابق ، ص ٦٣

١٧- المرجع السابق ، ص ٧١

١٨- أحمد فخرى ، مرجع سابق ، ص ٤١٣

١٩- المرجع السابق ، ص ٤١٦

٢٠- دونالد ولبر ، مرجع سابق ، ص٢٨

٢١- ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ ، م١ ، ج٢ ، ص ٤٠٤

٢٢- أحمد فخرى ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦
٢٣- سليم حسن : مصر القديمة ، مطابع دار الكتاب العربى ، القاهرة ، د.ت ، ج١٣ ، ص ٩٧
٢٤- المرجع السابق ، ص ٩٨
٢٥-ديورانت ، قصة الحضارة ، م١ ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ٤١٥
٢٦- المرجع السابق ، ص ٤١٨
٢٧- سامى سعيد أحمد ورضا جواد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ١٢٩
٢٨- المرجع السابق ، ص ١٣٥
٢٩- المرجع السابق ، ص١٣٦
٣٠- دونالد ولبر ، مرجع سابق ، ص ٣٨
٣١- المرجع السابق ، ص ٣٩
٣٢- سامى سعيد أحمد ورضا جواد الهاشمى ، مرجع سابق ، ص ١٥٣
٣٣- دونلد ولبر ، مرجع سابق ، ص ٤٣
٣٤- المرجع السابق ، ص ٤٤
٣٥- آرثر كريستنسن : إيران فى عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ١٢٠
٣٦- المرجع السابق ، ص ١٢٣
٣٧- إبراهيم رزقانة وآخرون ، مرجع سابق ، ص ٤٤٣
٣٨- جفرى بارندر (تحرير) : المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة (١٧٣) / نايو ١٩٩٣ ، ص ١١٦
٣٩- ديورانت ، قصة الحضارة ، م١ ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ٤٢٦
٤٠- حسن برنيا : تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساسانى ، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم ، والسباعى محمد السباعى ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٣١٤
٤١- كامل سعفان : معتقدات آسيوية ، دار الندى ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ١٠٧
٤٢- المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
٤٣- ديورانت ، قصة الحضارة ، م١ ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ٤٢٨

٤٤- جفرى بارندر ، مرجع سابق ، ص ١١٦
٤٥- حسن برنيا ، مرجع سابق ، ص ٣١٧
٤٦- المرجع السابق ، ص ٣١٨
٤٧- فيليب عطية (مترجم) : تعاليم زرادشت ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٥٥
٤٨- المرجع السابق ، ص ٥٩
٤٩- حسن برنيا ، مرجع سابق ، ص ٦٨
٥٠- المرجع السابق ، ص ٢١٤
٥١- المرجع السابق ، ص ٢١٥
٥٢- المرجع السابق ، ص ٢١٦
٥٣- أحمد محمد الحوفى : تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٧٧
٥٤- عيسى العاكوب : تأثير الحكم الفارسية فى الأدب العربى المعاصر ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٣٨
٥٥- المرجع السابق ، ص ٣٩
٥٦- المرجع السابق ، الصفحة نفسها
٥٧- أمين عبد المجيد بدوى : جولة فى شاهنامة الفردوسى ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٦
٥٨- أمين عبد المجيد بدوى (تعريب) : سندباد الحكيم " سندبادنامه " ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٥
٥٩- المرجع السابق ، ص ٩
٦٠- المرجع السابق ، ص ١١
٦١- باول هورن : الأدب الفارسى القديم ، ترجمة حسين مجيب المصرى ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٢٥
٦٢- المرجع السابق ، ص ٣٢
٦٣- أحمد محمد الحوفى ، مرجع سابق ، ص ٥٦
٦٤-أمين عبد المجيد ، جولة فى شاهنامة الفردوسى ، مرجع سابق ، ص ٦٠
٦٥- باول هورن ، مرجع سابق ، ص ٤٤

٦٦- المرجع السابق ، ص ٤٥

٦٧- ديورانت ، قصة الحضارة ، م١ ، ج٢ ، ص ٤٤٦

٦٨- أندريه غيمار ، و جانين أوبايه : تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة ، ترجمة : فريد م٠ داغر، و فؤاد ج٠ أبو ريحان ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص ٢٢٦

٦٩- أمين عبد المجيد ، جولة فى شاهنمه الفردوسى ، ص ٦٠

٧٠- المرجع السابق ، ص ص٦١

٧١- ديورانت ، قصة الحضارة ، م١ ، ج٢ ، ص ٤٣٩

٧٢- المرجع السابق ، ص ٤٤٠

٧٣- المرجع السابق ، ص ٤٤٢

٧٤- أبو القاسم الفردوسى : الشاهنامه ، ترجمة الفتح بن على البندارى ، تحقيق عبد الوهاب عزام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ج٢ ، ص ٥٤

٧٥- المرجع السابق ، الصفحة نفسها ٠

٧٦- المرجع السابق ، ص ٧٥

٧٧- المرجع السابق ، الصفحة نفسها ٠

٧٨- المرجع السابق ، ص ٧٦

٧٩-عيسى العاكوب ، مرجع سابق ، ص٥٦

٨٠- المرجع السابق ، الصفحة نفسها

٨١- المرجع السابق ، ص ٥٧

٨٢- المرجع السابق ، ص ٥٨

٨٣- المرجع السابق ، الصفحة نفسها ٠

٨٤- عبد السلام عبد العزيز فهمى : كتب الأخلاق والحكمة العلمية الساسانية وتأثيرها فى الأدب الأخلاقى الإسلامى ، دار الفردوس للطباعة ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص٣٥

٨٥- المرجع السابق ، ص ٣٦

٨٦- ابن النديم : الفهرست ، طبع مصر ، القاهرة ، ١٣٥٦ هجرية ، ص ٤٣٨

٨٧- عبد السلام عبد العزيز ، مرجع سابق ، ص ٤٣

٨٨- ابن المقفع :الأدب الكبير والأدب الصغير ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص١٠

٨٩- المرجع السابق ، ص ١١

٩٠ - المرجع السابق ، ص ٥٦

٩١- المرجع السابق ، ص ٦٨

٩٢- أحمد محمد الحوفى : مرجع سابق ، ص ١٨٩

٩٣- أمين عبد المجيد ، سندباد الحكيم ، مرجع سابق ، ص ٧٨

٩٤- المرجع السابق ، ص ٨٤

٩٥- عيسى العاكوب ، مرجع سابق ، ص ١١١

٩٦- المرجع السابق ، ص ١٠٨

٩٧- المرجع السابق ، ص١١٢

٩٨- حسن برنيا ، مرجع سابق ، ص ٢٧

٩٩- عبد السلام عبد العزيز فهمى : الحياة اللغوية فى إيران قبل الإسلام ، دار النيل للطباعة ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ١٩

١٠٠- إبراهيم رزقانة ، مرجع سابق ، ص ٤٢٩

١٠١- حسن برنيا ن مرجع سابق ، ص ٥٥

١٠٢- ديورانت ، قصة الحضارة ، م١ ، ج٢ ، ص ٤١١

١٠٣- الحياة اللغوية فى إيران قبل الإسلام ، ص ٥٤

١٠٤- المرجع السابق ، ص ٥٦

١٠٥- أرثر كريستنسن ، مرجع سابق ، ص ٣١

١٠٦- الحياة اللغوية فى إيران قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٠١

١٠٧- أحمد محمد الحوفى ، مرجع سابق ، ص ٤٨

١٠٩- المرجع السابق ، ص ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

١١٠- آرثر كريستنسن ، مرجع سابق ، ص ٤٠٠

١١١- المرجع السابق ، ص ٤٠٢

١١٢- ديورانت ، قصة الحضارة ، م١ ، ج٢ ، ص ٤٤٣

١١٣- أحمد فهمى القطان : تاريخ التربية ، ج١ ، التربية قبل الإسلام ، مطبعة مدرسة طنطا الصناعية ، مصر ، ١٩٢٣ ، ص ١١٤

١١٤- المرجع السابق ، ص ١١٥

١١٥- آرثر كريستنسن ، مرجع سابق ، ص ٤٠٢

١١٦- ديورانت ، قصة الحضارة ، م١ ، ج٢ ، ص ص ٤٥٦

للمـــؤلف

١- الفلسفة ، للصف الثالث الثانوى ، وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٢- المجتمع المصرى فى عهد الاحتلال البريطانى ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

٣- دراسات فى التربية والفلسفة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

٤- تدريس المواد الفلسفية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

٥- قضايا التعليم فى عهد الاحتلال ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

٦- الأزهر على مسرح السياسة المصرية ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٤ . صدر فى طبعة أخرى فى سلسلة كتاب الهلال ، دار الهلال ١٩٨٦ بعنوان " دور الأزهر فى السياسة المصرية " ، مع حذف الفصل الأول ، وزيادة فصل فى آخره .

٧- التربية اليهودية الصهيونية ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

٨- أصول التربية الإسلامية ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، أعيد طبعه ، مع بعض التغييرات ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

٩- التصور النبوى للشخصية السوية ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

١٠- أوضاع المربين العرب ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

١١- التعليم الثانوى ، الواقع والمستقبل ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

١٢- نشأة التربية الإسلامية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

١٣- دراسات عن التعليم فى المملكة العربية السعودية (بالاشتراك) ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

١٤- دراسات فى اجتماعيات التربية (بالاشتراك) دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، وكان قد صدر بالاشتراك مع آخرين بعنوان " التربية ومشكلات المجتمع " ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

١٥- دراسات فى فلسفة التربية (بالاشتراك) ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨١ .

١٦- المدخل إلى العلوم التربوية (بالاشتراك) ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨١ .

١٧- دراسات فى التربية الإسلامية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

١٨- ديموقراطية التربية الإسلامية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢ (صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٧٤ فى دار نشر الثقافة ، القاهرة) .

١٩- تجربة ثورة ٢٣ يوليو فى التعليم (بالاشتراك) ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

٢٠- الأصول السياسية للتربية (بالاشتراك) ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ، ثم صدرت طبعة منفردة مختلفة تماما ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٧) .

٢١- النبات والفلاحة والرى عند العرب ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

٢٢- تطور إعداد معلم المرحلة الأولى فى مصر (بالاشتراك) ، دار نشر الثقافة . القاهرة ، ١٩٨٣ .

٢٣- محنة التعليم فى مصر ، حزب التجمع ، سلسلة كتاب الأهالى ، القاهرة . ١٩٨٤ .

٢٤- تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

٢٥- معاهد التربية الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، وكانت قد صدرت طبعة أولى منه ، مختصرة ، عن دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٨).

٢٦- إنهم يخربون التعليم ، حزب التجمع ، سلسلة كتاب الأهالى ، القاهرة . ١٩٨٦ .

٢٧- الفكر التربوى العربى الحديث ، المجلس الوطنى للثقافة والعلوم والفنون ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٨٧ .

٢٨- بحوث فى التربية الإسلامية ، مركز تنمية الموارد البشرية ، القاهرة . ١٩٨٧ .

٢٩- تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٣٠- الأمن التربوى العربى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٣١- هموم التعليم المصرى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٣٢- هوامش فى السياسة المصرية ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٩٠ .

٣٣- اتجاهات الفكر التربوى الإسلامى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩١ .

٣٤- تعميم التعليم الابتدائى فى الوطن العربى (تحرير) ، مكتب اليونسكو الإقليمى للتربية فى البلاد العربية ، عمان ، ١٩٩١ .

٣٥- محو الأمية وتعليم الكبار فى الوطن العربى (تحرير) ، مكتب اليونسكو الإقليمى للتربية فى البلاد العربية ، عمان ، ١٩٩١ .

٣٦- الأصول الإسلامية للتربية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

٣٧- دراسات فلسفية (بالاشتراك) للصف الثالث الثانوى (مستوى رفيع) ، وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

٣٨- مستقبل التعليم فى الوطن العربى فى القرن الحادى والعشرين (بالاشتراك) ، التقرير النهائى ، منتدى الفكر العربى ، عمان ، ١٩٩٢ .

٣٩- نظرات فى الفكر التربوى ، دار سعاد الصباح ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

٤٠- رؤية إسلامية لقضايا تربوية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

٤١- التربية والحضارة فى بلاد الشرق القديم ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٤ .وقد أعيد طبعه عام ١٩٩٩ بعنوان " التربية فى حضارات الشرق القديم " مع تغييرات جوهرية .

٤٢- مقدمة فى التأريخ للتربية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ثم أعيد طبعه ، مع إضافات كثيرة ، عام ١٩٩٩ ، نفس الناشر .

٤٣- التربية فى الحضارة اليونانية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

٤٤- سقوط تربية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٥ .
٤٥- فلسفات تربوية معاصرة ، المجلس الوطنى للثقافة والعلوم والفنون ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٩٥ .
٤٦- التربية علم له أصول ، دار أخبار اليوم ، سلسلة كتاب اليوم الطبى ، القاهرة ، ١٩٩٥ .
٤٧- التعليم فى مصر ، دار الهلال ، سلسلة كتاب الهلال ، القاهرة ، نوفمبر ١٩٩٥ .
٤٨- التربية فى الحضارة المصرية القديمة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
٤٩- سياسة التعليم فى مصر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
٥٠- التربية العربية فى العصر الجاهلى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، (كانت الطبعة الأولى المختصرة منه بعنوان " تمهيد لتاريخ التربية الإسلامية " ، نفس الناشر ، ١٩٧٩) .
٥١- التعليم والخصخصة ، كتاب الأهرام الاقتصادى ، الأهرام ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
٥٢- التربية عند بنى إسرائيل ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٧ .
٥٣- التربية التحليلية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٧ .
٥٤- البناء القيمى فى مجتمع الكويت (تحرير) ، الديوان الأميرى ، مكتب الإنماء الاجتماعى ، الكويت ، ١٩٩٧ .
٥٥- استراتيجية تعليم الكبار فى الوطن العربى ، (تحت الطبع) ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٩٨ .
٥٦- التربية (بالاشتراك) لمعلمى التعليم الفنى ، وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
٥٧- التعليم على أبواب القرن الحادى والعشرين ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
٥٨- عرب فى قاع الزمن ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
٥٩- دفتر أحوال التعليم ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
٦٠- شجون جامعية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
٦١- رؤية سياسية للتعليم ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٩ .